بصيرة
baseera.net

الوجود الإباضي

في مصر

علي بن سالم بن علي السليمي

الوجود الإباضي
في مصر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

نشر وتوزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عُمان - بركاء
نقال: ٠٠٩٦٨٩٨١٧٧٧٨٩ ـ ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥

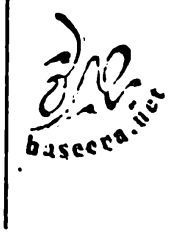

الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
للتواصل: info@baseera.net – www.baseera.net

الوجود الإباضي
في مصر

علي بن سالم بن علي الشلي

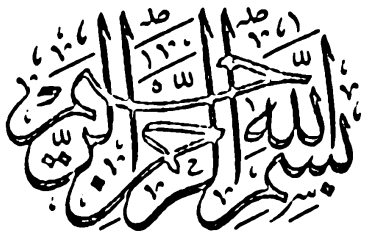
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وانتشر المذهب في الآفاق ... وضاءت الفجاج بالإشراق
فكان في المغرب أي دولة ... للرستميين أهيل الصولة
وهكذا قد قام في قطر اليمن ... وحضرموت وإلى أقصى عدن
وفي خراسان وفي العراق ... ومصر والبحرين باتفاق
وفي عُمان فلذا جاء المثل ... للعلم بالطائر إذ كان انتقل
قد باض بالمدينة الزهراء ... أفراخه بالبصرة الفيحاء
ثم إلى عُمان منها طارا ... وعمم الآفاق والأقطار[1]

---

(١) خلفان بن جميل السيابي، سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، ط٢، وزارة التراث والثقافة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ج٢ ص٥٦١.

أحب الكتابة في التاريخ؛ لأن التاريخ
هو دراسة الماضي لمعرفة الحاضر،
واستشراق المستقبل.

إهداء

إلى الحاضن للماضي والحاضر والمتطلع للمستقبل، نشأت في رحابه مفتخرا بالانتماء إليه... (وطني)

إلى نبع الحنان ونسيم الود والوداد، فقد ربتني وليدا ورعتني كبيرا، صانعة الأجيال... (أمي).

إلى من أضاء لي في ظلمة هذه الحياة بريق العلم والكفاح والاستقامة، فقد أدبني صغيرا، ووجهني كبيرا... (أبي).

إلى الذين ملأوا حياتي تفاؤلا وأملا وحبا... (إخوتي).

إلى كلية العلوم الشرعية التي لا تعلّم التاريخ بقدر ما تصنع التاريخ، ولا تشرح الأفكار بقدر ما تصنع الأفكار بمن فيها من علماء ومدرسين أفنوا أوقاتهم وجهدهم خدمة لطلبة العلم الشريف.

إلى كل من كانت له بصمة في حياتي، وتذكرني بدعوة، فانتظر مني أن أقدم له شيئا رائعا.

ملخص البحث

أصل البحث:

هو بحث مقدم لـ(مسابقة ابن عمير للبحث العلمي) سنة ١٤٣٦هـ، وقد حصل على المركز الثالث.

أهمية البحث:

إن اهتمامنا بتاريخ أمتنا وعلمائنا، والبحث عن سيرهم من مكنونات الكتب؛ هو أقل ما يجب علينا فعله اتجاههم، فالاهتمام بسيرهم وتاريخهم يقوي الرابطة بيننا وبينهم، فعندها تتواصل الأجيال بعضها ببعض فتكون حلقة متماسكة، ومما دعاني إلى كتابته، وحداني إلى تصنيفه؛ ما وجدته من دروس آثار الإباضية في مصر، وذهاب المذهب ومتحمليه، وقلة طالبيه ومنتحليه، فرأيت أن يخط قلمي سيرتهم، فكتبته على ضعف معرفتي، ونقص بصيرتي، وكلة لساني، وقلة بياني، طالبا للأجر لا للفخر، وللتعلم والدراسة لا للرئاسة، غير مدَّع للعلوم تصنيفًا، ولا مبتدع للفنون تأليفًا، لكن لأحيي به همة، وأوقد به عزما،

وأرجع به ما أُنسي من تاريخ هذا المذهب العريق في مصر، بالإضافة إلى:

- التعريف بتأريخ المذهب الإباضي في مصر لأصحاب المذهب الإباضي أولا ثم للآخرين؛ لأني على يقين بأن الكثيرين من أصحاب المذهب ليس لهم أدنى معرفة عن الإباضية في مصر، وهذا ما اتضح لي في مسيرة بحثي لما يقابلني البعض بالاستغراب والذهول عندما أخبرهم بعنوان بحثي.
- كشف اللثام عن بعض تأريخ رجالات وعلماء الإباضية في مصر المهمل والمنسي.
- كشف النقاب عن دور رجالات الإباضية الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية في مصر.
- إبراز العلاقات التي قامت بين الإباضية في المشرق والمغرب وإباضية مصر.
- بيان للأمة الإسلامية أهمية نظرية التعارف لما سنذكره من انسجام وتآلف وقع بين الإباضية والآخرين في مصر.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة فصول، كل فصل له مباحث، وبعض المباحث لها مطالب، وهي كالآتي:

الفصل الأول: الوجود الإباضي في مصر وأسبابه:

يتحدث هذا الفصل عن بـــداءة الوجود الإباضي في مصر، وتعرضت فيه إلى ذكر أهم الأســـباب التي ســـاعدت المذهب الإباضي على الانتشـــار في مصر؛ ومنها التسامح في المذهب الإباضي، والموقع المتميز الذي حظيت بـــه مصر، وكيف أنه ســـاعد على الوجود الإباضي فيها، والاستبداد الذي وقع على الإباضية كيف أنه ساعد على انتشار المذهب، فنتيجة الاضطهاد والظلم الذي وقع عليهم قرر بعضهـــم البحث عن البلاد الآمنة خوفا على نفسه ودينه، وذكرت أن وجود الأزد في مصر ساعد على انتشار المذهب الإباضي وأضاف حماية إليه، وأيضا الحج يعتبر من أسباب انتشار المذهب، فحجاج المغاربة ـ مثلاـ لا بُدَّ لهم من المـــرور بمصر؛ ليتـــزوَّدوا لرحلـــة الحجـــاز بالغذاء والمحامل، فكان لذلك أثر كبير في انتقال المذهب الإباضي في مصـــر، بالإضافة إلى التجـــارة التي قامت بدور بارز في نشـــر المذهب الإباضي في مختلف المناطق التي تاجروا فيها التجار الإباضية، وأيضا حملة العلم لهم شـــأن كبير في نشر المذهب الإباضي في مختلف الأمصار منـــذ عهدهم الأول، وذكرت في هذا المطلب جملة من حملة العلم الذين هاجروا إلى مصر فكان لهم بصمة فيها، وذكرت أن طلب العلم أسهم في نشر المذهب الإباضي في مصر، فطلاب أبي عبيدة كوَّنوا مدرسة في مصر.

الفصل الثاني: دور الإباضية في مصر:

ذكرت فيه أن الإباضية أينما حلوا وارتحلوا وضعوا بصمة خير، فلم يكن الإباضية في مصر بمعزل عن الحركة العلمية والاقتصادية والسياسية التي شملت أطياف المصريين، بل كان لهم قدم، صدق وقول حق في هذه المجالات منذ عهدهم الأول، فقد كان لهم دور بارز في الجانب الديني، وكذلك ظل الإباضية يمارسون نشاطهم الثقافي عبر مسيرتهم من خلال عدد من الأنشطة؛ أبرزها وكالة الجاموس[١] والمجلات والمطابع.

وتطرقت إلى دور الإباضية في الحركة الاقتصادية من خلال التجارة الداخلية والخارجية، ثم ذكرت الدور الذي قام به الإباضية في مجال السياسة فقد تميزت المدرسة الإباضية منذ نشأتها بعدم الفصل بين الدين والدولة.

وأخيرا تعرضت لدور الإباضية الاجتماعي؛ فإنهم لم يجدوا غضاضة من الانسجام مع المجتمع المصري، فكوَّنوا علاقات وطيدة مع بعضهم البعض.

الفصل الثالث: التواصل بين مصر والإباضية:

عرجت فيه إلى أهمية التلاحم والترابط بين الجماعة في حياة بني البشر، فبهما تقوى العلاقات، وتساعد نفسها على الاستمرار

---

(١) وكالة الجاموس وهي وقف أنشِئ للطلبة الإباضيين اللذين يقصدون مصر للدراسة في الأزهر. النامي، دراسات عن الإباضية، ص١٣٦.

والدوام، وتبعد نفسها عن التفرق والتشتت، وذكرت في هذا الفصل التواصل القائم بين الإباضية المصريين وإباضية البصرة وعُمان واليمن وشرق إفريقيا، ثم تعرضت إلى ذكر التواصل بين الإباضية المصريين وإباضية المغرب، وفي المبحث الأخير ذكرت أسباب انحسار المذهب الإباضي في مصر، ثم عرجت إلى ذكر العلاقة الحاضرة بين الإباضية ومصر.

كنت مستمتعا وأنا أكتب حروف هذ البحث على الرغم من زحمة الأعمال، واشتغال البال؛ لأني كنت أعيش في مغامرة البحث عن الكنز المفقود في مؤلفات العلماء، وأرجو أن تعيش أنت أيضا متعة الاستمتاع بهذا الكنز.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل العبرة لذوي العقول والأفهام، بما جرى من سالف الأزمان، والصلاة والسلام على أفضل الخلق سيرة ومنزلة محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمن حكمة الله تعالى أن تتوزع الأمة الإسلامية إلى فرق ومذاهب وطرائق مختلفة، ويخرج المسلم إلى هذه الحياة فيجد نفسه موصوفا بوصف زائد على الإسلام ـ إباضي أو سني أو شيعي ـ، وكلها لها أفكارها وتأريخها، وليس كل تأريخ يعبر عن تأريخ الإسلام، ولو كانوا مسلمين بالاسم واللسان، فتأريخ الإسلام هو تأريخ التطبيق الحقيقي للإسلام في تصورات الناس وسلوكهم، وفي أوضاع حياتهم، ونظام مجتمعاتهم[1]، ومن هذه المجتمعات المجتمع الإباضي الذي حافظ على أصوله ومنطلقاته رغم التيارات التي مرت به.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار ابن خلدون، القاهرة، ج١، ص٥٣٣.

وقد هداني خاطري إلى إعداد هذا البحث الذي يتحدث بسطوره عن الإباضية في مصر، ولقد بينتُ في مطلع البحث الأسباب الداعية لكتابته.

إن الكتابة عن التاريخ بشكل عام، وعن تاريخ طائفة من الطوائف بشكل خاص هو أمر عظيم وخطب جلل؛ لأن الدخول في هذا المضمار يحتاج إلى قراءة متأنية، وقراءة عميقة ودقيقة في تأريخ تلك الطائفة ومن حولها، والذي لا يقرأ قراءة استقرائية من كتب أصحابها نجده أنه وقع في مستنقع مداد المحرفين، فبدل أن يزيح الظلام الدامس الذي أظلم على تلك المعلومات؛ نراه أنه زاد الطين بلة، والمريض علة، فأرخى الستار عليها، وزاد الليل ظلاما حالكا، «فلا تثقن بما يلقى إليك من ذلك، وتأمل الأخبار، واعْرِضها على القوانين الصحيحة؛ يقع لك تمحيصها»[1].

وبهذا كله تأتي ضرورة التنقيب عن مكونات المذهب الإباضي، فقد حاولت في هذا البحث أن أذكر كل معلومة أحصل عليها تتحدث عن المذهب الإباضي في مصر، ولم أستطع تمحيص كل رواية ذكرتها؛ لكي لا يقال: من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، ولكني عقبت وناقشت المعلومات التي استطاع قلمي أن يمتد إليها، وطرحت حولها بعض التساؤلات؛ لأني نقلت من كتب المؤرخين، فهي مصادر ثمينة للباحث المدقق الذي يأخذ على

---

(١) تأريخ ابن خلدون، المقدمة، ص١٨، نقلا عن الحجري، الإباضية ومنهجية البحث، ص٢٥.

عاتقه مهمة التمحيص، ولكن يعيبها بالنسبة للقارئ وطالب العلم غير المتمرس أنها تغرقه في خضم من الروايات والوقائع المتضاربة أو المتناقضة أحيانا، فلا يعرف لنفسه طريقا للخلوص منها بنتيجة محددة، فلا هو يملك الصبر ولا المقدرة الفنية التي يستطيع بها أن يمحص كل الروايات المختلفة، ويرجح بعضها على بعض[١].

المنهج المتبع في البحث:

سلكت في البحث عدة مناهج، وذلك للحاجة إليها؛ أبرزها:

- المنهج الاستقرائي: فقد شرعت من أول الكتابة في البحث باستقراء كتب التاريخ التي أشعر أنها تتحدث عن موضوع بحثي، وخاصة أن هذا الموضوع لا تجده في فهارس الكتب، فقط بين سطورها مغمورة بالكم الهائل من المعلومات.
- المنهج التأريخي: حرصت أن يكون هذا المنهج معي في كل المباحث والمطالب، فكل موضوع أرتبه على حسب ترتيبه الزمني، فمن الأمور المهمة في البحوث التاريخية؛ العناية بسرد الأحداث عن طريق التسلسل الزمني.
- المنهج التحليلي: أقوم أحيانا بتحليل معلومة ومناقشتها، وطرح بعض التساؤلات حولها.
- المنهج الوصفي: ظهر هذا المنهج في الفصل الثاني أكثر من غيره، لأني أصف فيه دور الإباضية في مصر.

---

(١) محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص١٠.

الوجود الإباضي في مصر وأسبابه

المبحث الأول: الوجود الإباضي في مصر.

المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب الإباضي في مصر.

- المطلب الأول: التسامح في المذهب الإباضي.
- المطلب الثاني: طبيعة مصر.
- المطلب الثالث: الاستبداد الأموي السياسي في مواجهة المذهب الإباضي.
- المطلب الرابع: وجود الأزد في مصر.
- المطلب الخامس: الحج.
- المطلب السادس: التجارة.
- المطلب السابع: حملة العلم (وجود العلماء من الإباضية).
- المطلب الثامن: طلب العلم.

المبحث الأول

الوجود الإباضي في مصر

عند حديثنا عن وجود المذهب الإباضي في مصر لا بدَّ أن تكون لنا خلفية واسعة عن نشأة المذهب وتطوره ومؤسسيه وغيرها من الأمور التي لا تخفى على القارئ الكريم؛ لأنه مفتاح لفهم الذي يترتب عليها من أفكارهم وانتشارهم في شتى البقاع من هذا العالم، ولم أشأ أن أعطر بحثي بذكر هذه الأشياء، فقد أردت أن يكون البحث منصبًا على الإباضية في مصر، ومن أراد معرفة ذلك يرجع إليها في الكتب التي تتحدث عن المذهب الإباضي بصدق وإخلاص.

شاءت حكمة الله تعالى أن تنقسم الأمة الإسلامية إلى فرق ومذاهب وطرائق مختلفة، ويخرج المسلم إلى هذه الحياة فيجد نفسه موصوفا بوصف زائد على الإسلام ـ إباضي أو سني أو شيعي ـ، وكلها لها أفكارها وتأريخها تجتمع فيما بينها في الأصول، وتختلف في بعض الفروع.

ومن هذه المذاهب المذهب الإباضي، فالفكر الإباضي عميق

الجذور في التاريخ الإسلامي؛ إذ يعود إلى دولة الخلفاء في النصف الثاني من القرن الأول[١]، فقد كانت بلورته ومركزه مدينة البصرة التي تعد مركز النشأة وتصارع الأفكار، ولصياغة ونشر المذهب بالنسبة للإباضية كما لغيرها من الفرق[٢].

وكان ذلك في عهد التابعي الجليل جابر بن زيد الذي (ت: ٩٣) «أقنع عددا كبيرا من الأزد بالانضمام إلى جماعة المسلمين (الإباضية)، فتبعه قسم كبير منهم، وعلى رأسهم أفراد آل المهلب ـ رجالا ونساء ـ.

ومنهم عاتكة بنت المهلب؛ أي: أخت يزيد الذي كان والي خرسان، وكانت من أشد الناس حماسة للمذهب، ولم تبخل بمالها لمساعدة المحتاجين من أهل الدعوة»[٣]، وبعدما وضع جابر بن زيد أفكار المذهب وسياسته وبعض فقهه بقي نشر هذا الكنز الثمين إلى مختلف المعمورة، فكانت هذه المهمة لأبي عبيدة، «ومن معهده السردابي العالمي كان يتابع ما آلت إليه أحوال المسلمين، فيرى أنه لا بدَّ من تصحيح صورة الإسلام التي شوهت

---

(١) حسين عبيد غانم غباش، عُمان الديمقراطية الإسلامية، دار الجديد، بدون تأريخ، ص٥١.

(٢) بيير كوبرلي، مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، دار الفرقد، ٢٠١١م، ص٢٣.

(٣) انظر: يحيى محمد بكوش، فقه جابر بن زيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٣٢.

مع هذه الشعوب؛ حتى لا يرجعوا إلى كفرهم»[١]، فقد بلغت الدعوة في عهده مبلغا عظيم بما يتمتع به من تنظيمات سرية وجهرية في الدعوة، وانتشر في مختلف البلاد، فلم ينحصر الفكر الإباضي في بلد محدود، أو جنس مخصوص، فحضورهم كان في مواطن شتى من بلاد الإسلام ـ مشرقا ومغربا ـ، ومن خرسان إلى الجزيرة العربية، وإلى مصر، وإلى بلاد المغرب، وإلى إفريقيا السوداء.

كما يشمل الجنس العربي في جزيرة العرب، والأمازيغ ببلاد المغرب، والزنوج بالقارة السوداء[٢]، فالإباضية ظلوا ـ ولا يزالون ـ يصنعون التاريخ مع غيرهم، ولم يكونوا يوما ما في جزيرة معزولة عن مجريات الواقع في العالم الإسلامي، فتراجم أعلامهم جزء من تراجم غيرهم، وتأريخ أحداثهم جزء من تأريخ غيرهم[٣].

وبما أن الفكر الإباضي عميق الجذور في التاريخ الإسلامي، وينتمي إلى رمز عظيم، وهو جابر بن زيد، ويحتوي على شخصيات مهمة أمثال أبي عبيدة، وكان حضوره بارزا ولم يكن معزولا عن مجريات التاريخ الإسلامي؛ فقد كانت حركته «من

---

(١) أحمد بن سعود السيابي، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر، مكتبة الضامري، مسقط، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٤.

(٢) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٥.

(٣) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ص ١٥.

أغنى الحركات الإسلامية وأخصبها من حيث الإنتاج الفكري، سواء على مستوى التشريع والفقه، أو على مستوى الشهادات الخاصة بسيرورة الإمامة في عُمان، وبتأريخ الإباضية في بعض المناطق العربية»[١].

والناظر إلى التاريخ يجد أن أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني هي فترة شبه استقرار، وهي الفترة التي انتشر فيها المذهب الإباضي خارج تأسيسه، وفي مصر خاصة نجد أن هناك جملة من الأزد[٢] تربعوا مناصب في مصر، مما ساهم في انتشار المذهب تسامح الخلفاء الأمويين أمثال سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز مع من يخالفونهم في الفكر، ووفد أبي عبيدة إلى عمر بن عبد العزيز شاهد على ذلك.

في هذه الأجواء لم يتوان قادة الإباضية عن نشر المذهب الإباضي خارج البصرة؛ وذلك بواسطة الدعاة المدربين الذين كان يرسلهم أبو عبيدة لتلك الولايات لنشر المذهب الإباضي، وقد عرفوا في تأريخ الحركة الإباضية باسم حملة العلم؛ أي: الذين حملوا العلم من منابعه الأصلية في البصرة، ونقلوه إلى الأمصار[٣]، كان الدعاة الذين يرسلون إلى الأمصار على نهجين:

---

(١) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص٢٨.

(٢) سأتحدث لاحقا أن وجود الأزد من الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب الإباضي في مصر.

(٣) عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ط١، ص١٠٣.

فإما أن يكونوا من نفس البلد التي نشـأ فيها، وإما أن يكونوا من غير أهل البلد، وربما أول من قدم إلى مصر وبلاد المغرب داعيا للمذهب الإباضي هو سلمة بن سـعد الحضرمي في بداية القرن الثاني للهجرة، ومن حملة العلم إلى مصر شعيب بن المعروف، وأبو إسحاق ابراهيم ومحمد بن عباد، وابن اليسع، وأبو المؤرج عمر بن محمد، وعيسى بن علقمة[١] وهو من متكلمي الإباضية، لديه كتاب مفقود بعنوان «كتاب التوحيد»، وهو أقدم مؤلف كتبه الإباضيون في شـمال إفريقيا[٢]، فعادوا إلى مصـر بعدما أخذوا العلم من مصر، فنشروا المذهب بين الناس، واعتنقه على أيديهم عدد من المصريين، فانتشـر المذهب الإباضي في جزيرة العرب

---

(١) انظر:

- أحمد بـن سـعيد الشـماخي، كتـاب السـير، وزارة التـراث الثقافـة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص١١٢.
- سالم بن عبد الله الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث والثقافة، ص١٤٧، ١٨٤.
- د. رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري، ١٩٩٠م، ص٨٤.
- سـالم بن حمود السـيابي، طلقات المهد الرياضي فـي حلقات المذهب الإباضي، وزارة التراث والثقافة ـ مسقط، ١٩٨٠م، ص١٣٣.
- أحمد بن حمد الخليلي، أماكن انتشار المذهب الإباضي في شمال إفريقيا، مكتبة الضامري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص١٤.

(٢) أم تش كاسترس ـ بيلوغرافيا الإباضية، ج١، ص٦٢٠، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ـ سلطنة عُمان، ط١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

وما جاورها كالعراق ومصر[١]، فقد انتشر بين سكان الواحات الضاربة في أعماق صحراء مصر[٢] هي الصحراء الواقعة غرب مصر المحاذية لليبيا[٣].

«انتشر المذهب في مصر دون أن يلقى معارضة كبيرة، خاصة وأن الأمويين اشتغلوا بالثورات والفتن التي قامت في أنحاء الدولة في أخريات عهدهم؛ حتى جاء عصر الخلافة العباسية في عام ١٣٢هـ/٧٥٠م»[٤]، وهذه الفترة هي التي كوَّنت المذهب الإباضي، ورسخت مبادئه وأفكاره في مصر، فقد استغلوا الفرصة لنشر أفكارهم بين أطياف المجتمع المصري، وكما يقول الشاعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى كل خافقة سكونُ
ولا تغفل عن الإحسان فيها فلا تدري السكون متى يكونُ

---

(١) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان، ص١٠٧.

(٢) انظر:
- محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآبا البسوعيين - بيروت، ١٩٠٨م، ص١٥٣.
- صالح باجية، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار أبو أسامة - تونس، ١٩٧٦م، ص٣١.
- رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري، ١٩٩٠م، ص١٠٢.

(٣) انظر: الملحق الخريطة، ص١٥٠.

(٤) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٤٥.

كان للإباضية في مصر نشـــاط كبير، وكان لهم فيها العلماء البارزون الذين وصلوا إلى درجة الفتيـــا، وكان لهم وجود قوي؛ حتى أنهم تدخلوا أحيانا في مجرى الأحداث السياســـية[١]، ومن بين هؤلاء شـــعيب بن المعروف (حي في: ١٧١هـــ/٧٨٧م) أحد علماء الإباضية بمصر، تتلمذ على يد أبي عبيدة، وفي عهد الربيع كان أحد المنشقّين[٢] عنه، ذهب إلى مصر لنشر أفكاره[٣]، وسأذكر حادثة لأدلل فيها على أمرين؛ الأول تدخـــل علماء الإباضية في مجريات الأحداث السياسية خارج مصر، والأمر الثاني وجودهم وهي عندما أخبر الرسولان شعيب وكان عن أمر المغرب[٤]؛ خرج من غير مشورة المســـلمين ومشـــايخ مصر، بل نهاه خيارهم أن يخرج إلى المغرب...[٥]، خرج بغير مشاورة أهل مصر، ولا رأي منهم، ولقد نهاه خيارهـــم أن يخرج وهو عند المســـلمين بأقبح المنازل[٦].

لست بصدد شرح القصة ولمن تأمل فيها يدرك وجود علماء

---

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٨.

(٢) لمعرفة سبب الانشقاق والخلاف الذي دار في عهد أبي عبيدة وبينهم؛ راجع أحمد الشماخي، كتاب السير، ج١ ص٩٧.

(٣) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٤٥٨.

(٤) ســـرحان بن ســـعيد الأزكـــوي، كشـــف الغمـــة، وزارة التـــراث والثقافة، ط٣: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م، ج٣، ص٣٩.

(٥) أحمد الشماخي، كتاب السير، ج١، ص٢٣٢.

(٦) المرجع السابق، ج١، ص١٣٤.

كبار ومشايخ من الإباضية في مصر، تجمعهم كلمة واحدة ورأي سديد، نتلمسها من قول الشماخي عندما يقول: «خرج من غير مشورة المسلمين ومشايخ مصر» من غير العامة من الإباضية، وهذه الحادثة في وقت مبكر في القرن الثاني من الهجرة في الفترة التي لم يتكون فيها بعض المذاهب.

استمر المذهب الإباضي في الانتشار بين المصريين حتى أصبح له علماؤه ورجاله العديدون الذين وثقوا الصلة بين إباضية المشرق والمغرب، وكانوا همزة وصل بين الفريقين[١]، فرغم انتشار المذهب فيها على يد حملة العلم وبروز عدد كبير من فقهاء الإباضية هناك، إلا أنهم لم يكن بإمكانهم إعلان قيام دولة مستقلة عن الدولة العباسية[٢]، رغم محاولاتهم الخجولة التي كانت على ترجل وسرعة، ومن غير تخطيط ولا حساب للعواقب، وسأذكرها في دورهم السياسي في مصر حتى أن بعضهم في القرن الرابع أصبح واليا على مصر[٣].

وقد ظل الوجود الإباضي في مصر حتى بعد سقوط عصر الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ/١٧١٢م وقيام الدولة الأيوبية، فقد

---

(١) محمد علي الصلبي، حصاد ندوة العلاقات العُمانية المصرية، وزارة التراث والثقافة، ١٩٩١م، ج١، ص٢٦٧.

(٢) انظر: د. إسماعيل الأغبري، المدخل إلى الفقه الإباضي، مكتبة الضامري، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٩٤؛ محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٨.

(٣) سأذكره في مبحث وجود الأزد.

اعتنى صلاح الدين بهم وبطلبة العلم، فأسكنهم جامع أبي العباس أحمد بن طولون[١]، وأجرى لهم أرزاقا في كل شهر، وجعل حكمهم إلى واحد منهم، يمثلون لأمره، ويخضعون لطاعته، ويصدر أحكامه في ما بينهم، فاتسع نشاطهم وكثر عددهم حتى صار لهم رواق في الجامع الأزهر[٢] [٣]، إن جعل صلاح الدين الأيوبي أمر الإباضية لأنفسهم هو أمر يدل على حجم الثقة الكبيرة التي حظي بها الإباضية في نفس صلاح الدين الأيوبي، فيبدو أن هذه الفترة لديهم فترة استقرار واطمئنان في محيطهم.

ولكن بعض الباحثين يشكك في هذه المعلومة مستدلا على

---

(١) جامع أحمد بن طولون: هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر، قال ابن عبد ظاهر: ابتدأ في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس بن طولون. انظر: السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، ص١٩١.

(٢) جامع الأزهر: هذا الجامع أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله، وابتدأ بناؤه لستٍّ بقين من جمادي الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة إحدى وستين، وجعله الخليفة العزيز بالله جامعة يدرس فيها العلوم الإسماعيلية، وحينما تولى صلاح الدين الأيوبي ملك مصر حوّله إلى جامعة سنية. انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٩٥، أحمد بن سعود السيابي، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر، مكتبة الضامري، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٤٥.

(٣) بتصرف: محمد رجب، الإباضية في مصر، ص١٠١، نقلاً عن محمد يوسف، إن لم تعرف الإباضية، ص٣.

أن صلاح الدين كانـــت فيه نزعة مذهبية وعصبيـــة لمذهبه فقط، فيستبعد أنه خصص للإباضية هذه الأشياء، ولكني قرأت في كتاب حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة غير ذلك فكان مما قاله: «لما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب الديار المصرية، لم يكن بها شـــيء من المدارس، فإن الدولة العبيدية كان مذهبها مذهب الرافضة والشيعة، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء، فبنى السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة للإمام الشافعي، وبني مدرسة مجاورة للمشهد الحسيني بالقاهرة، وجعل دار سعيد السعداء خادم الخلفاء المصريين خانقاه، وجعل دار عباس الوزير العبيدي مدرســـة للحنفية، وهي المعروفة الآن بالسيوفية، وبنى مدرســـة التي بمصر المعروفة بزين التجار للشـــافعي،...، وبنى بمصر مدرسة أخرى للمالكية وهي المعروفة الآن بالقمحية»[1].

وعلى غرار هذه المعلومة لا يستبعد أنه خصص للإباضية هذه الأشياء كما خصص لغيرهم.

وقد ظـــل الوجـــود الإباضي في مصـــر بعد ذلك بيـــن تزايد وانخفاض وبانحســـارهم في بعض الأوقات، وسأذكر سبب ذلك لاحقا، وأحيانا يشـــد الرحال إلى مصر من أجل العلم أو التجارة، ومن المهاجرين إليها الجربيون، فقد بدأ وصولهم إلى القاهرة بصفة فردية، واستقرارهم بها في أول القرن العاشر الهجري، وقبل تأسيس الوكالة، ثم نشـــطت الرحلة إلى المشـــرق لأداء الحج، وللتجارة

(١) السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، ص١٩٨.

وللدراسة، فكثر عدد الجربيين، وطاب لبعضهم المقام بمصر فجلب أسرته[١]، فكوَّنوا أسرا وجماعات، وفي هذا القرن تجد هجرة الإباضية إلى مصر بعكس القرنين الماضيين؛ وذلك لأن الفقه الإباضي قد شهد في القرن التاسع تراجعا وجمودا بالمغرب العربي، وكانت أسبابه سياسية وفكرية، وقد دفعت حركة الضعف في التأليف إلى الرحلة نحو المشرق، خاصة إلى مصر حيث الأزهر الشريف، وفي هذه الفترة استقبل الأزهر العديد من طلاب العلم من الإباضية الذين استوعبوا منهجه، وتعرفوا على أساليبه ومفردات مقرراته[٢] التي تعينهم على فهم ما كتب علماؤهم.

ولقد وجدت في كتاب (مقدمة التوحيد) الذي علق عليه الشيخ إبراهيم اطفيش[٣] عندما ذكر صاحب الكتاب ابن عباد،

---

(١) أحمد مهني سعيد مصلح، الوقف الجربي في مصر ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجا) الأمانة العامة للأوقاف الكويت، ٢٠١٢م، ص٥٠.

(٢) كلمات محقق كتاب الإيضاح للشماخي، ص١٣.

(٣) إبراهيم بن امحمد بن إبراهيم بن يوسف اطفيش، ولد ببلدة بني يزقن من قرى وادي ميزاب جنوب الجزائر، سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٤م، عرف في الأوساط السياسية والثقافية بكرهه الشديد للاستعمار الفرنسي، الذي نفاه من الجزائر إلى تونس عندما كان أبو إسحاق في تونس، ويقوم بدور ملحوظ ضد الاستعمار جاء إليه قرار الإدارة الاستعمارية ومضمونها «الحكومة الفرنسية تدعوك إلى الكف عن كل حركة عدائية، واختر لنفسك أي بلد شئت خارج هذا التراب»، فقال أختار البلد الذي لا يرفع فيه العلم الفرنسي، فاختار مصر سنة ١٩٢٣م، كان لنفي أبي إسحاق إلى القاهرة ـ كنانة الله في الأرض ـ فضل =

فعلق عليه الشيخ إبراهيم اطفيش بقوله: «انظر ترجمته في كتابنا عن أصحابنا في مصـــر»[1] مما يعني أن أبا إســـحاق قام بتأليف كتاب عـــن الإباضية في مصـــر، ولقد بحثت عن هـــذا الكتاب، وســـألت عنه جملة من الباحثين، ولم أحصل على معلومة عنه، فانتظر المستقبل ليكشف عنه ليضيف إلى المكتبة الإباضية خاصة فراغا متروكا له، وليستفيد منه الباحثون.

= كبير فجاهد بقلمه، وناضل بفكـــره، وعمل بكل جد، ومن عجائب القدر أن تصادف أحداث اعتقالات الإخوان ووفاة الشيخ أبي إسحاق اطفيش كان في شعبان ١٣٨٥هـ/ ديسمبر ١٩٦٥م بالقاهرة الذي برحيله أصبح الوجود الإباضي بمصر جســـدا بـــلا روح. انظر: محمـــد ناصر، الشـــيخ إبراهيـــم اطفيش، ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩، مجلة الحياة العدد الرابع عشر مقال للدكتور مصطفى بن صالح بعنوان الشيخ أبو إسحاق اطفيش فقيها، ص٥٦. عمرو النامي، ص ٤٠؛ مقابلة مع المنير عبد الحميد بن سعدون بالسكن الداخلي لطلبة كلية العلوم الشرعية بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٣م.

(١) أحمد بن سعيد الشماخي وداود بن إبراهيم الثلاتي، مقدمة التوحيد شروحها، وزارة التراث والثقافة ـ مسقط، ١١٩٨٩م، ص ٩٨

المبحث الثاني

عوامل انتشار المذهب الإباضي في مصر

المطلب الأول: التسامح في المذهب الإباضي:

من الأسباب الرئيسة لانتشـــار المذهب الإباضي في مختلف المناطق ما يملكه من رصيد يواكب آمال الناس، واعتدال وتسامح الدعاة، والتزامهم بقواعد الإسلام، وما كان يدعو إليه من إصلاح ومســـاواة وعدالة، وما كان ينادي به من تطبيق لهذه المبادئ في ضوء أخوة الإســـلام، التي تجمع الجميـــع، ولا تفرق بين عربي ومصـــري وبربري[1]، هـــذه المبادئ الاجتماعية هـــي من صميم المنهج الإباضي، الذي لا ينكره عاقل منصف، فكفانا منهم عبرة، ولهذه المزايا مـــن التضحية والإخلاص للديـــن والوطن جعلهم تأريخهم المجيد في الطليعة.

فقد تميز الإباضية عن سائر الفرق الإســـلامية بأشياء كثيرة، اتبعوا فيها السنة المطهرة لما جفاها كثير من الفرق الإسلامية، أو زهدوا فيها أو عجزوا عنها، فعمل الإباضية بها توفيقا من الله ﷻ، وتكريما لهم، فمن لم يعرفهم أو يعرفهـــم وينكر عليهم فليراجع

---

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص٨.

صفاتهم هذه التي امتازوا بها، ويضعهم بعد ذلك حيث يشاء، بعدما يكون العلم حجة عليه[١]، وقد وصفهم أحمد أمين في القرون الأول بقوله: «لقد كان في الخوارج كل العناصر التي تكون الأدب: عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث، وتحمس شديد لها تهون بجانبه الأرواح والأموال، وصراحة في القول والعمل، لا تخشى بأسا، ولا ترهب أحدًا، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير إلا كأحدهم، ولا العظيم إلا خادمهم....»[٢]؛ ولذلك ترى أدبهم ـ قديمه وحديثه ـ طافح بعصارات مشاعر الألم الذي يحسون به بسبب تشتت الأمة وانحلال عقد نظامها[٣].

ومن أسباب تقبل المذهب الإباضي في مصر ما ذكره الشيخ علي يحيى معمر عندما قال: لعل التسامح في معاملة المعتدلين من المسلمين، والوضوح في الرأي والعقيدة، والصراحة في قول الحق والعمل به، والاستمساك بالواضح من الدين، كانت من الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب الإباضي في أكثر البلاد الإسلامية[٤].

إن التسامح وتقبل رأي الأخر هو نبض ينبض في الإباضية، ومستقى من إمامهم جابر بن زيد الذي كان على علاقة حميدة مع

---

(١) صالح بن داود يوسف، من لا يعرف الإباضية، مطبعة الواحات ـ غرداية، ١٤٣٠هـ، ص ١٢٨.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢٥هـ، ج ٣ ص ٢٤٤.

(٣) أحمد بن حمد الخليلي، الحق الدامغ، مكتبة الضامري، ط ٢: ١٩٩٢م، ص ١٩.

(٤) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج ٢ ص ٢١.

الحسن البصري الذي كان على منهج آخر، وفي أئمة المذاهب الإسلامية أيضا تتجسد، فالإمام الشافعي تتلمذ على الإمام مالك، ولكن بعد أن بلغ أشده في العلم والاجتهاد سلك مسلكا آخر عن شيخه، ولم نقرأ أنه حصل صدام بينهم.

فالتسامح بين فئات الأمة الإسلامية الواحدة هو واجب ديني، وفرض وطني واجتماعي، فالأمة هي أمة واحدة مهما اختلفت في التصورات والاجتهادات[١]، وهذا ما نجده في الدولة الرستمية ،فيقول ابن الصغير حينما يصف الدولة الرستمية الإباضية: «من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم، قربوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك»، وابن الصغير كانت له مناظرات كذلك مع الإباضية[٢]، لقد كانت هذه المناظرات بينهم مؤطرة بالحب واللين والرد العلمي المنطقي، المبنية على أسس متينة وصلبة، وليست على أرض هشة، وكانت بعيدة كل البعد عن السباب والشتائم فقد كان منهجهم أن المحاورة لا بد أن تكون بالحسنة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) فهد بن علي بن هاشل السعدي، لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عُمان، الفكر والدعوة ـ مكتبة الأنفال، بدون تأريخ، ص٣٣٩.

(٢) محمد نمر المدني، الإباضية أهل الحق والاستقامة، ط٤: دار دمشق، ٢٠١١م، ص٣٢.

«وإن من يمعن نظره في التـراث الإباضي الفكري ـ متجردا عن العوامل النفسية، والمؤثرات الوراثية ـ يدرك كل الإدراك أن الإباضية أكثر فئات هذه الأمة اعتدالا، وأسـلمها فكرا، وأقومها طريقا، وأصحها نظرا، وأصفاها مـوردا ومصدرا[١]، ولذلك تعتبر الإباضية نموذجا يحتذى به في مشروع الحوار المذهبي وتوحيد كلمة الأمة، فخطابها يتسـم بالسـعي للحـوار والمصالحة مع المسلمين جميعا»[٢].

إن الاحتكاك اليومي بالمخالفين ومحاولة القيام بعملية التأثير؛ إما بالحوارات الشـخصية، وإما عـن طريق القدوة بما يشـاهده المخالف من الإباضي وهو يقوم بأعمال تتعلق بالعبادات، أو حتى بالأعمال الروتينية اليومية[٣]، ويقول سـيد قطب الذي تعرف على الإباضية في مصر، واختلط بهم، وعرفهم حق المعرفة: «ومن حسن الحـظ أن في فقـه الإباضية وأصـول ما ذهبوا إليه مـن المرونة ما يسـمح بالتفاهم مع غيرهم على ما يصير به المسلم مسلما من أصول الدين وقواعده الأساسية فيما نعلم وفي ذلك الكفاية»[٤].

---

(١) تقديم لسماحة الشيخ الخليلي على كتاب فرحات الجعبيري، البعد الحضاري للقعيدة الإباضية، مطبعة الأولية الحديثة، ١٩٨٩م، ص١٢.

(٢) محمد المدني، الإباضية، ص٦.

(٣) صالح الهطالي، دور المذهب في التأثير والتأثر، مذكرة بحوزتي، ص٨.

(٤) انظر: مجلة الشهاب المصرية ١١ مارس ١٩٤٨هـ، ص٦٣، نقلته من: د. محمد ناصر، الشـيخ إبراهيـم اطفيش في جهاده الإسـلامي، مكتبـة الضامري، ط٢: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٥٣.

وقد قدم الدكتور إسماعيل بن صالح الأغبري ورقة عمل بعنوان «التسامح المذهبي عُمان والأزهر أنموذجا»، ذكر فيه العيش المشترك من خلال عدة نوافذ؛ منها، التقارب الإباضي الأشعري؛ إذ تمتاز المدرستان باعتراف كل منهما بالآخر وقد اطلع الإباضية على كثير من كتب الأشاعرة، وذكر أمثلة؛ ومنها: «كتاب الإشراف للنيسابوري الذي علق عليه أبو سعيد الكدمي في كتاب سماه «زيادات الإشراف»، فخرج كتابًا فقهيًا مقارنًا بين خمسة مذاهب[١].

إن هذا التلاقي والتلاقح الفكري والانسجام لا يعني ذوبان الشخصية الإباضية، وإنما يدل على المعرفة التامة بنظرية التعارف، وإن الخلاف لايفسد الود، ولا يعكر الماء الزلال، وكما يقول غاندي (ت: ١٩٤٨): «يجب أن أفتح نوافذ بيتي لكي تهب عليها رياح كل الثقافات بشرط ألا تقتلعني من جذوري».

وبالإضافة إلى ذلك فإن الإباضية لم يغالوا في الحكم على مخالفيهم كالأزارقة، بل قالوا: يحل التزويج منهم (من المخالف)، ويتوارث الخارجي وغيره، ونزعتهم أميل إلى المسالمة، فقالوا: لا يحل قتال غير الخوارج وسبيهم في السر والعلانية، ولا يجوز قتالهم، إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة وإعلان القتال... وفي أكثر أحوالهم مسالمون للخليفة[٢]، وليس بضروري

---

(١) من ندوة مقطع مرئي بعنوان «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» مكتبة جامعة السلطان قابوس.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢١هـ، ص ٢٤٨.

أن يكون الإمام من قريش، بل يكفي أن يكون صالحا ورعا، وأن يحكم طبقا للقرآن والسنة[١]، ومخالفوهم في المذهب ليسوا كفارا، وإنما هم مسلمون، لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات مثل أصحاب المذهب.

أخيرا إن التسامح والمرونة سمتان إيجابيتان لكن بشرط عدم الذوبان، والتمسك بالخصوصية، والحفاظ على الهوية»[٢]، وينبغي أن تكون حاضرة في التسامح حرية الفكر والبعد عن التعصب، بمعنى أن أؤمن، وأعتقد، وأدع غيري يؤمن ويعتقد، ويفكر ويعبر عن رأيه بحرية[٣].

هذا التسامح والانسجام مع غيرهم أعطاهم الحرية في الاحتكاك بغيرهم من المخالفين في أفكارهم في مصر، فنرى أنهم قد أصبحت بينهم علاقات دينية تمثلت في المشاركة في مناسباتهم الدينية والحوارات الهادئة وتنقيح كتبهم، بالإضافة إلى العلاقات الثقافية، فلهم بصمة واضحة في مصر في مجلاتهم والجماعات، وتطورت إلى علاقات اجتماعية من زواج مع غير المذهب في مصر، وغيرها من العلاقات التي ما كانت تنشأ لولا وجود عنصر التسامح.

---

(١) أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢٥هـ، ج ٤ ص ١٨٠.

(٢) د. إسماعيل بن صالح الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، مكتب الإفتاء، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٦.

(٣) أ.د. محمد الزيني، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٧.

المطلب الثاني: طبيعة مصر[١]:

مصر أو مصر المحروسة كما يسميها أهلها، قامت مصر بدور فعال في التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب، فوادي النيل يربط بين الوطن العربي شرقا وغربا والتقاء الحضارات من خلاله، فكونت طابعا مميزا في معنى الحضارة العالمية، فالموقع الجغرافي أحد أهم مميزات أي دولة، فهو الشيء الذي قد يشكل عائقا كبيرا، أو عاملا مساعدا في تقدم الدولة.

ومصر بموقعها المتميز تعتبر بوابة جزيرة العرب، وقلب العالم بأسره، فهي تتحكم في الملاحة البحرية المتجهة من أوربا إلى أسيا وإفريقيا، والعكس كذلك، وذلك عن طريق أهم القنوات في العالم، وهي قناة السويس.

والناظر إلى خريطة الوطن العربي يدرك تمام الإدراك أن مصر حلقة وصل بين الوطن العربي الشرقي والغربي، فيحدها من الغرب بلاد المغرب[٢]، ومن الشمال السودان[٣][٤]، هذا الموقع المتميز ساعد على الوجود الإباضي فيها، فموقعها بالتأكيد يمر عليه علماء الإباضية والتجار والحجاج الذين يرحلون من المشرق إلى المغرب فيتركون بصمتهم فيها، فمصر كانت هي الطريق

---

(١) في هذا المبحث أشكر الأستاذ الدكتور مشرح علي التمساح، أستاذ بكلية العلوم الشرعية على المعلومات القيمة التي استفدت منها.

(٢) وهي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب التي يوجد فيها إباضية إلى هذا الزمن.

(٣) وكانت فيها إباضية خاصة مدينة زويلة.

(٤) انظر: الملحق الخريطة، ص ١٥٠.

الوحيد الذي يربط بين المغرب والمشرق، فالحُجاج المغاربة ـ مثلا ـ لا بد لهم من المرور بمصر؛ ليتزودوا لرحلة الحجاز بالغذاء والمحامل وغيرها، فكان لذلك أثر كبير في انتقال تلك المبادئ إلى مصر[١].

وعند ذكر الموقع لا بد أن لا نغفل عن طبيعة الامتداد الجغرافية لحدود الدولة الرستمية، تلك الحدود التي كانت تمتد في الشمال الشرقي إلى طرابلس، وإلى سرت، وإلى برقة، ومنها بالطبع يمكن الوصول إلى الإسكندرية، وفي الجنوب الشرقي تمتد هذه الحدود على مدينة زويلة السودانية التي كان أهلها إباضية، ومنها بالطبع يمكن الوصول إلى واحات مصر الغربية[٢]، فهذه الدولة بالتأكيد لها تأثيرها على مصر؛ وخصوصا لأنها كانت دولة إباضية، فمصر ليست ببعيدة عن الدولة الرستمية فقرب الموقع ساعد على وجود الإباضية فيها.

ومن الأسباب التي ساعدت على ترحال الإباضية إلى مصر والاستقرار بها هي طبيعة المجتمع الذي تتميز به مصر، نتيجة لاختلاف الأعراق بين أهلها واختلاف الأفكار، هذا الاختلاف

---

(١) مبارك بن عبد الله الراشدي، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، مطابع الوفاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٢١٠.

(٢) بتصرف: إبراهيم القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ط ١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس، ص ٥٣؛ محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ١٨٥.

ساعد على صياغة ثقافة اجتماعية متميزة من خلال تدافع الأفراد إلى الانسجام في مجتمع موحد، والذي يشكل هذه العلاقة الاجتماعية كما يقول علماء الاجتماع هي الدين والسياسة والحضارة والاقتصاد.

وهذا ما نجده في مصر عندما يترنمون بالجملة المشهورة عندهم أن حكمة التوراة عانقت محبة الإنجيل وسماحة وحكمة ومنطق القرآن في مجتمع واحد؛ لتترجم على أرض الواقع تعايشا سلميا بين جميع الشرائع.

فقليلة هي الأماكن التي تتجاور فيها الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام في سلام، فالصراعات والحروب ومصالح السياسة كانت لها الكلمة الأعلى دائما في العلاقة بين هذه الأديان، ومن ضمن الأماكن القليلة التي يجتمع فيها أصحاب الديانات الثلاث في سلام تقف منطقة «مجمع الأديان» الغنية بتراثها في مدينة الفسطاط القديمة كحالة متفردة في التناغم بينها، فالتاريخ الناطق في المنطقة مع المباني المشحونة بالرموز الدينية وتداخلها الديني تبث في القلب طمأنينة، ومنطقة الفسطاط (مصر القديمة) عنوان لتأريخ طويل من التسامح والمعايشة، وفهم ممزوج بالاحترام لاختلاف الآخر[1].

هذا الاختلاف بين الشرائع في مصر ساعد على الوجود

---

(١) موقع مصرس، مقال بعنوان «مجمع الأديان يفتح أبواب التسامح لأهل الأديان» حسين حافظ.

الإباضي فيها؛ لأن المجتمع متقبل لاختلاف الأفكار وتباينها، وبهذا ندرك لماذا هاجر الأزد إلى الفسطاط تحديدا في عهد زياد بن أبيه بعدما ضيق عليهم[١].

وقد فتحت الحياة الثقافية في مصر منذ أوائل القرن الماضي أبوابها لظهور المؤلفات الإباضية إلى عالم النشر، بل وأصبحت هناك مطابع خاصة مثل المطبعة البارونية، ومجلات خاصة مثل «مجلة المنهاج»، وازدانت الحياة الفقهية بظهور مؤلفات كثيرة إباضية؛ مثل: النيل للثميني، وشرح النيل لاطفيش، وشرح طلعة الشمس للسالمي، وغير ذلك من الكتب والأبحاث والمقالات[٢]، هذه الحياة الثقافية المتسامحة هي التي شجعت عمرو النامي[٣] لزيارة مصر، وكانت نظرته إليها نظرة الظمآن المتعطش إلى الماء؛ نظرا للجو العلمي السائد فيها، والذي امتازت به عما سواها من الأقطار العربية آنذاك، فكان ذهابه لإكمال دراسته العليا والتحضير لرسالة الماجستير، وشجعه على الجلوس فيها وجود أبي إسحاق اطفيش نزيل مصر ودفينها، واطلع على كنوز التراث الإباضي التي

---

(١) ذكرت هذه المعلومة في مبحث وجود الأزد.

(٢) أ. د. محمد كمال، مائة كتاب إباضي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينة ـ سلطنة عُمان، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج ٢ ص ١٣.

(٣) عمرو النامي (و ١٣٤٨هـ/١٩٣٩م) ولد في نالوت بجبل نفوسه بليبيا، كان من النجباء الأوائل الذين اختارتهم الجامعة ليزاولوا دراساتهم العليا خارج ليبيا، فتوجه أولا إلى مصر، غير أن الأحداث اضطرته للعودة إلى ليبيا ١٩٦٥م. انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص٦٦٦.

كانت تدخلهـا وكالة الجامـوس في حي طولـون، ودار الكتب المصرية، وتيسرت له سبل الالتقاء بنزلاء مصر من الإباضية[١].

المطلب الثالث: الاستبداد السياسي في مواجهة المذهب الإباضي:

لقد عانى الإباضية منذ عهدهم الأول أنواعًا من الاستبداد والظلم من مختلف الأعـداء، فقد تعرض الإباضيـة في البصرة وعُمان لاضطهاد بني أمية وبني العباس، فكما هو معلوم أن بني أمية قد سـلكوا مذهب التعذيب والنفي، وفرق تسد على كل من يخالف هواهم ـ سـواء من الرجال أو النسـاء ـ، فقد أخذوا في مطاردتهم ونفيهم وسجنهم تارة أخرى وحرق منازلهم، ومن أمثال هؤلاء عبد الله بن زياد والحجاج وغيرهم من ولاة الجور، سلطوا أيديهم وطاقتهم في محاربة الإباضية فكريا وحربيا.

ولمعرفة فكرهم وبطشـهم وأفعالهم الشنيعة واستبدادهم في الأرض يقول أبو حمزة الشاري: «قوما طغاة جهلاء لا يقومون لله بعهده، ولا يفرقـون بين الضلالـة والهدى،.... بطشـهم بطش الجبابرة، يملكون بالهوى، ويقتلون بالغضب، ويأخذون بالظن، ويعطلون الحدود بالشـفاعات، ويؤمنون الخونة، ويقصون ذوي الأمانـة، ويأخـذون الصدقة في غيـر وقتها على غيـر فرضها، ويضعونها في غير مواضعها...»[٢].

---

(١) انظر: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، مكتبة الأنفال، ط١: ١٤٢٩هـ، ص٣٩.

(٢) عن الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٣ ص ٣٥٥؛ نقلاً عن محمد رجب: الإباضية في مصر والمغرب، ص ٧٥.

وقد صور الأستاذ عبد الكريم محمد هذا الواقع المرير، الذي انقلبت به حياة الأمة إلى عهد مظلم فـي تقديمه لـ (تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك) فقـال: «تربع معاوية على أريكة الملك الذي أسموه الخلافة، وتخلص من مناوئيه بالسيف تارة، وبالرشوة أخرى، وشفى غيظ قومه باضطهاده آل البيت، وتسميم أعيانهم، ولعنهم على المنابر... فكان بذلـك عهد بني أمية بابا للفتنة الصماء التي هاجـت وماجت بالأمة، وما زالت تعيث فيها إلى عصرنا الحاضر، وفيما يسـتقبل إن لم يتداركنا الله بالرشـد، ويهدينا للعودة إلى نبع القرآن الكريم»[١].

ويقول الخليلي بعدمـا ذكر موت الخليفـة العادل عمر بن عبد العزيز «... ليعقبها ليل بهيم موحش، تفري وحوشه الضاربة وذئابه المسـعورة أديم الأمـة وأوصالها، لتشـبع نهمها وتطفي غيظهـا من الحق وأهله، فعاد الأمر أسوأ مما كان، إذا اعتلى منصة الحكـم بنو مروان مرة أخـرى، بكبرهم وبطرهم وبطشهـم الشديـد ونقضهم لعرى الإسلام ونسـفهم لأحكامه وانتهاكهم لحرمه...»[٢].

---

(١) إبراهيم بن علي الطرسوني، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك؛ نقلا عن أحمد بن حمد الخليلي: الاستبداد مظاهر ومواجهته، ط١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٥٥.

(٢) أحمد بن حمد الخليلي، الاسـتبداد مظاهر ومواجهته، ط١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٧٥.

قد عهد عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف ـ الوالي المشهور بقسوته ـ بإخماد الثورات التي تقع، فأزاح أبناء المهلب من السلطة في العراق وعلى سبيل الانتقام، أخذ الحجاج بتعذيب أزد العراق في البصرة وسجن علماءهم[١]، وبعض الأزد هاجر إلى مصر في عهد زياد بن أبيه بعدما ضيق عليهم، فأقبلوا إلى مصر، ونزلوا في الفسطاط[٢].

نتيجة لهذا الاضطهاد والظلم قرر بعضهم البحث عن البلاد الآمنة خوفا على نفسه ودينه، فكيف للإنسان أن يرضى أن يعيش تحت سطوة حكمهم، وهو يريد أن يعبد الله تعالى على بصيرة وعلم، ولديه أفكار يسعى لنشرها وبثها بين الناس، ولذلك كان الملجأ عن هذا كله هو شد الرحال إلى مصر المحروسة، وغيرها من المناطق الآمنة.

حيث كان الإباضية يقومون بالدعوة لمذهبهم عن طريق التجارة متسترين بها للتمويه على خصومهم السياسيين، والإفلات من بطش الأمويين والعباسيين، حتى أن معظم المناطق التي لجأوا إليها أصبحت فيما بعد نواة لمراكز تجارية قوية شكلت خانة مهمة

---

(١) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص ٣١٧.

(٢) انظر: الملحق، ص ١٤٦. الفسطاط: هي إحدى عواصم الدولة الأموية في مصر بالإضافة إلى المدينة المنورة والبصرة والكوفة. انظر: الأطلس المدرسي، وزارة التربية والتعليم ـ سلطنة عُمان، دار النهضة، ٢٠٠٥م، ص ١٥٤.

في خارطة الاقتصاد الإسلامي[1]، وفعلا هذا ما نجده، فهجرة الإباضية إلى شرق إفريقيا كانت على أساس التجارة، وأحيانا فرارا من الظلمة، فنشروا المذهب في المناطق التي هاجروا إليها، وهذا الذي وقع عند هجرة الإباضية إلى مصر.

المطلب الرابع: وجود الأزد في مصر:

ساعد وجود الأزد في مصر على انتشار المذهب الإباضي، وأضاف حماية عليهم، خصوصا إذا ما علمنا أن نشأة المذهب كانت يغلب عليها شخصيات أزدية، فالأقارب والأهل يعطون الداعية وصاحب الفكرة حماية ودرعا ضد الهجمات المعارضة لفكرته، فالنبي شعيب عليه السلام لأنه بين أهله وأقاربه لم يستطع قومه قتله ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وكذلك نبينا محمد ﷺ لم يستطع المشركون المساس به؛ لأن جده عبد المطلب من علية القوم وكبرائهم، وأيضا لم يتلفظوا بشيء بحضرة عمه أبي طالب، وهذا كله بعد عناية الله لهم.

وهذا ما نجده عند حديثنا عن المذهب الإباضي عند الحديث عن عبد الله بن إباض كان هو في الواجهة، ويتكلم باسم المذهب بدون خوف، ولم يكن جابر بن زيد في الواجهة رغم علمه وسياسته؛ لأن عبد الله بن إباض له رهط يصعب عليهم مسه بسوء،

---

(١) بتصرف إبراهيم القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ط١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس، ص٤٤.

ولو كان قومه وعشيرته ليسوا على نفس منهجه وفكره، ولكن الدم يبقى يجري في قلوبهم على أنه منهم.

لقد كان الأزد على علاقة وطيدة وعميقة ومنسجمة مع المذهب الإباضي منذ نشأته، فأبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العُماني الذي تسلم الشعلة، وأسهم انتماؤه إلى قبائل الأزد في نشر الحركة في عُمان؛ حيث لقي الدعم الفعال من أسرة المهلب[١]، وهو الذي أقنع عددا كبيرا من الأزد بالانضمام إلى جماعة المسلمين (الإباضية)، فتبعه قسم كبير منهم، وعلى رأسهم أفراد آل المهلب ـ رجالا ونساء ـ، ومنهم عاتكة بنت المهلب؛ أي: أخت يزيد الذي كان والي خراسان وكانت من أشد الناس حماسة للمذهب، ولم تبخل بمالها لمساعدة المحتاجين من أهل الدعوة[٢].

ولقد أسهمت العلاقة بين الأزد والإباضية في نشر المذهب في مصر، وقبل أن أعرج إلى هذه الإسهامات يجدر بنا السؤال من أين ومتى أتى الأزد إلى مصر؟

يعود الوجود الأزدي في مصر إلى عصر الفتوحات الإسلامية، فبعض الأزد أتى مع عمرو بن العاص عندما فتح مصر[٣]، وكذلك

---

(١) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص٤١.

(٢) انظر: يحيى محمد بكوش، فقه جابر بن زيد، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص٣٢.

(٣) انظر: حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، ط٣: ١٩٨٦م، ص١٠١.

العُمانيون من الأزد والمهرة أقبلوا إلى مصر مع عمرو بن العاص لفتحها انطلاقا من بلاد الشـــام[١][٢]، ولقد تتبعت مسيرة الأزد من كتاب (الســـيوطي في تأريخ مصر والقاهرة)، فوجدته يذكر جملة من الأزد الذين كانت لهم بصمة في فتح مصر؛ فمنهم مالك بن أبي سلسلة الأزدي.

قال في التجريد: أحد الأبطال، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، فكان أول الناس صعـــودا للحصن[٣]، فقد صعد الحصن بعد طول الحصار الـــذي ضربه عمرو بن العـــاص حول حصن بابليون الذي كان يتحصن فيه المقوقس ومن معه[٤]، وعلقمة بن جنادة الأزدي الحجري، قال الذهبي: صحابي شـــهد فتح مصر، وولي البحر لمعاوية[٥]، وعياض بن ســـعيد الأزدي الحجري[٦]، ومن الصحابة الذين نزلـــوا مصر كُثير بن أبي كثيـــر الأزدي[٧]،

---

(١) لمعرفة كيف وصل هؤلاء العُمانيون من المهرة والأزد إلى بلاد الشام راجع محمد علي: ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١١٧، فقد ذكر تحليلًا رائعًا وتأصيلًا دقيقًا.

(٢) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١١٧.

(٣) السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، ص١٧٧.

(٤) السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، ص٨٦. وانظر: بكر محمد إبراهيم، كيف دخل الإسلام مصر، مركز الراية ـ القاهرة، ط١: ٢٠٠٧م، ص١١.

(٥) السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، ص١٧٠.

(٦) السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، ص١٧٣.

(٧) المرجع السابق، ص١٧٥.

وجنادة بن مالك الأزدي[١]، فهؤلاء الجند الذين فتحوا مصر ربما بعضهم استقر فيها، فصاروا من أهلها.

وبعض الأزد هاجر إلى مصر في عهد زياد بن أبيه بعدما ضيق عليهم، فأقبلوا إلى مصر ونزلوا في الفسطاط[٢]، وهي في القاهرة[٣].

وكذلك رحل بعض العُمانيين إلى مصر، ونشروا بين بعض أهلها المذهب الإباضي واعتنقه عدد لا بأس به من المصريين، ووجد دعاة الإباضية في سكان مصر من الأزد قوة وسندا لنشاطهم المذهبي ولنشاطهم التجاري أيضا، مما دفع بالعلاقات المذهبية والتجارية بين البلدين إلى التطور والنماء إلى حد كبير، وهيأ في الوقت نفسه لمزيد من الهجرات العُمانية إلى مصر[٤].

وقد رجع الدكتور رجب محمد عوامل هجرة العُمانيين إلى مصر إلى عاملين؛ وهما الأول: وجود عدد من الولاة والقضاة ورجال الشرطة وعمال الخراج تولوا مصر[٥]، وكانوا من الأزد،

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٤.

(٢) انظر: الملحق، ص١٤٦. الفسطاط: هي إحدى عواصم الدولة الأموية في مصر بالإضافة إلى المدينة المنورة والبصرة والكوفة. انظر: الأطلس المدرسي، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عُمان ـ دار النهضة، ٢٠٠٥م، ص١٥٤.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١ ص٣١٢ ـ ٣١٣.

(٤) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ،ص١٦٥.

(٥) لمعرفة المزيد عن الأزد والمهرة الذين حكموا مصر حيث إنهم أخمدوا الفتن =

فمهدوا الطريق لأقربائهم كي يهاجروا إلى مصر، أما العامل الثاني: فقد كان الأزد والمهرة مستقرين في الكثير من الأحياء السكنية المصرية؛ مثل: الفسطاط والجيزة والإسكندرية وغيرها[١]، وما زالت أثر هجرتهم إلى مصر إلى الآن شاهدة على ذلك[٢].

وعلى هذا يتبين لنا أن تكاثف الأزد في مصر تكاثفٌ ساعد على انتشار المذهب الإباضي فيها، أو على الأقل أضفى الحماية على رجال هذا المذهب من علماء ودعاة[٣]، «ومما لا شك فيه أن دعاة المذهب الإباضي في مصر وجدوا العون والمساعدة بشكل غير علني من هؤلاء الأزد ذوي الأصل العُماني أو غير العُماني؛ لأن مصر كانت ولاية تتبع خلافة سنية، ومع ذلك فقد وجد هؤلاء الدعاة الأمن والحماية، واطمأنوا على أنفسهم»[٤]، فنشروا أفكارهم بكل راحة واطمئنان.

ونضيف إلى ما سبق أن في عهد يزيد بن معاوية جعل واليًا على مصر من الأزد، فكان واليها منذ ٦٢هـ/٦٨٢م هو سعيد بن

= والثورات، وعمروا البلاد؛ راجع محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١، ص١٧٦ ـ ٢٠٩.

(١) انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١٦٥ ـ ١٦٧.

(٢) ومن القبائل التي هاجرت مصر الحجري وآل الرواس، واستقروا هناك، ولا تزال بعض العائلات في مصر والزقاق تسمى باسمهم. انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١٣٣ ـ ١٤٠.

(٣) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٤٠.

(٤) المرجع السابق، ص٥٠.

يزيد بن علقمة بن عوف الأزدي[١]، وأيضا تولى عياض بن عبيد الله الأزدي السلامي منصب القضاء في مصر عام ٩٣هـ/٧١١م[٢] وهذه الفترة هي فترة بداية انتشار المذهب الإباضي، وبالتأكيد أنهم وجدوا دعما ومساندة، وأضافوا عليهم حماية كريمة، وأيضا هي فترة سلام مع بني أمية؛ لأن في هذه الفترة هي فترة حكم سليمان بن عبد الملك، ومن المعروف أنه رفع من شأن آل المهلب وولاهم مناصب رفيعة، وكذلك فترة حكم عمر بن عبد العزيز الذي حاور الإباضية فكان حكيما في سياسته.

أما مع الدولة العباسية ذهب أزد مصر بقيادة مندوبهم محمد بن مشهور الأزدي ضمن الوفد الذي خرج من مصر إلى بلاد العراق؛ لإعطاء بيعة أهل مصر لأبي العباس السفاح[٣]، ونتيجة لهذه المبايعة ارتفع شأنهم عند بني العباس، فقد عين عبد الملك بن يزيد الهنائي واليا على مصر في شعبان ١٣٣هـ[٤]، وهكذا يتوالى تولية الأزد؛ فأبو جعفر المنصور ولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب حكم مصر في منتصف ذي القعدة من عام ١٤٤هـ، واتخذ هذا الوالي الأزدي العُماني معظم موظفيه

---

(١) انظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت، ١٩٠٨م، ص ٤٠، ٤١، ٣١١.

(٢) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٤٤.

(٣) انظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآبا البسوعيين ـ بيروت، ١٩٠٨م، ص ٩٨.

(٤) انظر: الكندي، ولاة مصر، ص ٤٨٥، ٥٤٦، ٥٤٧.

وقواده مـن الأزد[١]، والوالي الذي تولى حكـم مصر في ربيع الآخر من عام ٣٢٨هـ/ أكتوبر ٨٥٢م كان معتنقـا لهذا المذهب (المذهب الإباضي)، أو علـى الأقل كان متأثرا بـه وميالا إليه لذلك اعتبره المؤرخون إباضيا مما جعل ابن حزم الظاهري يقول: إنه لم ير في مصر لبني العباس مثله، وإنه كان من أعدل الناس، وإنه كان يتهم بمذهب الخوارج لشـدة عدلـه وتحريه للحق[٢]، عندما نقرأ هذه المعلومات سنبني عليها أشياء؛ منها: أن المذهب الإباضي كان له شـأن في مصر، فقد أثروا في الحياة السياسـية والفكرية والثقافية والاقتصادية، وبما أنهم تربعوا ولاية مصر فلا بد أنه كان يهتم بأتباعه ولو كان بطريقة غير مباشـرة، وكما قال يعرف عن الإباضية أنهم من أهل العدل ويتحرون الحق كما ذكر ابن حزم.

إذن هذه الفتـرة لا بد أنها أخرجت علمـاء إباضية من مصر عرف قدرهم بيـن أهلها، وفعلا هذا ما وجدتـه في كتاب تأريخ المصريين لابن يونس وسـأذكره في دور الإباضية في مصر في الجانب الديني.

وقد ظل استخدام الأزد في الإدارة والسياسة إلى عصر متأخر؛ حيث إننا نرى صـلاح الدين الأيوبي سـفيرا له إلـى المنصور

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص١١١، ١١٧، ٣٦٣.

(٢) انظر: محمد علي، ندوة العلاقـات العُمانية المصرية، ج١ ص٢٦٩، نقلا عن جمهرة أنساب العرب لابن حزم، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ص٢٠٤.

يوسف بن يعقوب في بلاد المغرب يبشره بفتح بيت المقدس في منتصف رجب من عام ٥٨٣هـ[١].

لم يقتصر الوجـود والنفوذ الأزدي في مصـر على الجانب السياسي، بل كان أيضا لهم بصمة كبيرة في فروع العلم والمعرفة والثقافة، منهم في مجال الحديث والفقه والأدب واللغة والتاريخ والرحلات الجغرافية[٢]، ومن يقرأ «تأريخ المصريين» لابن يونس، و«الولاة وكتاب القضاة» لمحمد بن يوسـف الكندي يجد الكثير من العلماء والأدباء والولاة من الأزد، بعضهم من الصحابة ومن التابعين، لهم مكانتهم المرموقة بين المصريين.

المطلب الخامس: الحج:

حرص الإباضية منذ بداية عهدهم على استغلال موسم الحج اسـتغلالا عظيما، وقد استمروا في هذه السـنة في تكتلاتهم في مواسم الحج من أجل التلاحم والأخـذ من علمائهم وفقهائهـم من مختلـف الأمصـار، وهـذه هي سنتهـم منذ عهـد جابـر بن زيد رضي الله عنه.

---

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٤٨، نقلا عن الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٠٦.

(٢) انظر: محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٤٩.
وذكر المؤلف في كتابه من هؤلاء العلماء عددًا ليس بالقليل، ولم أذكرها هنا خوف الإطالة.

فالإمام جابر بن زيد يذكر عنه أنه لم يفوت الحج وكان يحج في كل عام، حتى يشتد الأمر في وجهه ويظلم عليه ويصبح السجن مانعا له عن الذهاب إلى الحج.

فهذا الأمر يدعو للدهشة والتساؤل فلماذا التركيز على الحج الذي كلفهم في سبيل الوصول إليه التعب والتعذيب و...؟؟ ألم تكن هناك فضائل ونوافل يمكن أن يحصل عليها المسلم من الأجر الوفير في غير الحج؟ الجواب إنها الدعوة إلى الله اقتداء بنبيهم رسول الله ﷺ الذي كان يستغل فترة الحج لدعوة الناس إلى دين الله أفواجا، ولقد أخذ معاشر الإباضية بهذا النهج حذو النعل بالنعل، فقد كانوا يدعون الناس إلى العقيدة الصحيحة والأفكار السليمة[١].

«ولقد بذل أسلاف الإباضية الشيء الكثير في سبيل التواصل فيما بينهم شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، متخذين من موسم الحج فرصة للقاء والاجتماع لتبادل وجهات النظر فيما يهمهم ويعنيهم، وكم قضايا نوقشت، وإشكالات حلت هناك»[٢]؛ من أجل هذا حرص إباضية مصر على إحياء سنة الإباضية في تكتلاتهم في موسم الحج من أجل التلاحم والأخذ من ينابيع العلم، إضافة إلى

---

(١) حمود بن عامر الصوافي، الإباضية في خراسان سياسيا وعلميا، ص ٣٥، (بحث تخرج ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

(٢) أحمد بن سعود السيابي، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م، ص٦.

نيل الأجر والثـــواب، فقد كان أبو عبيدة يحـــرص على أن يلتقي بإباضية مصر في الحج[١].

ففي الحج يلتقي حُجاج الإباضية من عُمان والبصرة بالحجاج المصريين والمغاربة، وهذا الالتقاء لا شـــك له تأثيره الكبير في دعم المذهب، ونشره بين غيرهم من الناس[٢].

وكما هو معروف من إباضية المغرب كثرة الذهاب إلى الحج وبتكراره فقد ازداد اللقاء بين علماء المذهب من مختلف الأقطار والأمصار في مواســـم الحج مـــن جهة، وفي نشـــر المذهب في البلدان التي يمر بها هؤلاء الحُجاج ـ ســـواء في رحلة الذهاب أم الإياب ـ من جهة ثانية[٣].

والناظر إلى خريطة الوطن العربي يدرك تمام الإدراك أن مصر حلقة الوصـــل بين الوطـــن العربي من جهة الشـــرق والغرب[٤]، وبحكم موقعها بالتأكيد سيمر عليها حجاج المغرب؛ لأن «مصر كانت هي الطريق الوحيـــد الذي يربط بين المغرب والمشـــرق، فالحجاج المغاربـــة مثلا لا بد لهم من المـــرور بمصر؛ ليتزودوا

---

(١) انظر: مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص٢٠٠.

(٢) انظر: محمد زينهم وأحمد عبد التواب، دارسة في تأريخ الإباضية، ص٣٥؛ د. محمـــد صالح ناصر، منهـــج الدعوة عنـــد الإباضية، مكتبة الاســـتقامة، ١٤٣٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٠٨.

(٣) محمد صالح، منهج الدعوة عند الإباضية، ص١٠٨.

(٤) انظر: ملحق الخريطة، ص١٥٠.

لرحلة الحجاز بالغذاء والمحامل وغيرهـــا منها، فكان لذلك أثر كبير في انتقال تلك المبادئ»[١].

وفي القادم من البحث سيتضح هذا أكثر عندما تقرأ أن عددا من الإباضية يمرون مصر، ويمكثون فيها فترة ليست بالقليلة؛ فإن كانوا من الطلبة يتعلمون من مشـــايخها، وإن كانـــوا من العلماء يلتقون بأقرانهم، وكذلك يعلمون في الوكالة، ويلتقون بغيرهم من العلماء من غير المذهب، هذا المكوث لا بد أنّ له أثرًا في تقوية المذهب في مصر ونشره وإعطاء جرعات إيمانية لأهله.

المطلب السادس: التجارة:

لقد قام تجار الإباضية بدور بارز في نشر المذهب الإباضي في مختلف المناطـــق التي تاجروا فيها، فهـــؤلاء التجار لم يكن هدفهم من تجارتهم نشر المذهب، بل كانوا تجارا عاديين يبحثون عن رزقهم، ولكـــن ما يميزهم عن غيرهـــم اختلافهم في فكرهم ومعاملاتهم وطريقة تعاملهم مع الناس.

وكما هو معلوم أن التاجر الإباضي حينما يتجول لا يتجول ببضاعته فقط، وإنما بفكره وأخلاقه ومنطقه وسلوكه، وفي تنقله سيحط رحاله في عدة أماكن، وربما يتعامل بمعاملة مالية مختلفة عنهم، فيُســـأَل عنها، ومن أين له بها؟ فيحدثهم عنها ويبين لهم معتقده وفكره وغيرها من الأمور وخصوصا أن العالم الإباضي

---

(١) مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص٢١٠.

المصري ابن عباد له آراء وفتاوى مشهورة في المعاملات المالية، وعلى هـذا فقد انتشـر المذهب الإباضي في مصـر عن طريق التجار الإباضية القادمين سواء من المشرق أو من المغرب حتى وصل المذهـب إلى الواحـات التـي تقع في صحـراء مصر الغربية[١].

وكما أشـرنا سـابقا في مطلب طبيعة مصـر فبحكم موقعها بالتأكيد سيمر عليها التجار الإباضية القادمون من ليبيا والجزائر وتونس والمغرب؛ لأن مصر كانت هي الطريق الوحيد الذي يربط بين المغرب والمشـرق، فالتجـار المغاربة مثـلا لا بد لهم من المرور بمصر ليتزودوا بالغـذاء والمحامل وغيرها، فبنوا لهم في مصر؛ أماكن يستريحون فيها مثل الوكالات، فكان لذلك أثر كبير في الوجود الإباضي في مصر.

ومن المعلوم أن الجسر الممتد بين مصر وعُمان ليس وليدا من حقبة قصيرة، بل هو جسـر متين منذ قديم الزمان كما تذكر الآثار التاريخية، فبعض العُمانيين رحلوا إلى مصر، ونشروا بين بعض أهلها المذهب الإباضـي، واعتنقه عـدد لا بأس به من المصريين، ووجد دعاة الإباضية في سـكان مصر من الأزد قوة وسندا لنشاطهم المذهبي، ولنشـاطهم التجاري أيضا، مما دفع بالعلاقات المذهبية والتجارية بيـن البلديين إلى التطور والنماء

(١) صالح باجيه، الإباضية بالجريد، ص٣١، نقلا عن محمد رجب، الإباضية في مصر، ص٩٣.

إلى حد كبير، وهيأ في الوقت نفسه لمزيد من الهجرات العُمانية إلى مصر[١]، وقد ذكرت سبب هجرة العُمانيين إلى مصر في مبحث الوجود الأزدي، فهولاء التجار الذين هاجروا من عُمان إلى مصر لا بد أنهم أثروا في نشر المذهب وبعضهم استقر فيها.

والباحث في التاريخ في نهاية القرن الثاني يدرك أن هناك دولة قوية تقع بجانب مصر وهي الدولة الرستمية التي لها أبعادها ومساحتها وعلاقتها مع الدولة التي تجاورها، فقد بلغت من الحضارة ما بلغته من انسجام وتآلف بين كل الأطياف التي تسكن فيها، فهذه الدولة بالتأكيد لها تأثيرها على إباضية مصر، وخصوصا أنها كانت دولة إباضية، فمصر ليست ببعيدة عنها فبالتأكيد حصلت علاقات تجارية وثقافية وفكرية، وخاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم ١٧١ ـ ٢٠٨) ـ ثاني الأئمة الرستمين ـ عاصر الربيع بن حبيب، عالم متضلع، وكان تاجرا بارعا، بلغت الدولة في عهده شأوا بعيدا في الحضارة، أقام علاقات تجارية وطيدة مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومع إباضية المشرق، وله تأثير كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، فقد اتسعت دولته في حدود مصر شرقا...[٢]، وكانت مصر على اتصال وثيق ببلاد المغرب عبر

(١) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١٦٥.

(٢) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣.

الصحراء الليبية التي تشكل معبرا لتجار عُمان الراجعين من فزان والسودان وإباضية المغرب[١].

والناظر لتأريخ المغرب وجزيرة جربة بالتحديد يدرك أن عددا من التجار الإباضية وفدوا إلى مصر للتجارة؛ وخاصة في القرن العاشر، فقد بدأ وصول الجربيين إلى القاهرة بصفة فردية واستقرارهم بها في أول القرن العاشر الهجري، وقبل تأسيس الوكالة، فنشطت الرحلة إلى القاهرة للتجارة، فكثر عدد الجربيين وطاب لبعضهم المقام بمصر، فجلبوا أسرهم، واستقروا في المنطقة، فكوَّنوا أسرا ومجتمعات، ومن أوائل التجار الإباضية المتجهين من جزيرة جربة إلى القاهرة واستقروا مع عائلاتهم في محيط طولون؛ الحاج عبد العزيز بن منصور بن عبد العزيز البحار وهو الذي أسس وكالة، فكانت تعرف في عهده بوكالة البحار، ثم اشتهرت بوكالة الجاموس، الذي مارس التجارة وحقق نجاحا باهرا، شجعه على الاستقرار بأسرته، وفي القرن الحادي عشر الهجري نما عدد الجربيين في مصر بعدما تسامع الناس في الجزيرة بأخبار النشاط التجاري في القاهرة[٢]، وبعضهم بلغ مبلغا عظيما في التجارة في مصر فاشتهر أمره وذاع صيته بين المصريين بكثرة ثروته وتجارته كما سيأتي بيانه في دور الإباضية الاقتصادي في مصر.

---

(١) صبح الأعشى، ج٥ ص١٦، نقلا عن القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ص٥٣، ط١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس.

(٢) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص٥٠ ـ ٥٢.

المطلب السابع: حملة العلم (وجود العلماء من الإباضية):

إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ لأن الدعوة ليست طريقا مفروشا بالياسمين والورد لسالكيها، وإنما هي طريق شاق يحتاج إلى صبر ومصابرة، وتفقه وسياسة في الدين؛ ليكون الداعية على بصيرة من أمره.

والدعوة الإسلامية لها رجالها الذين لا يألون جهدا في سبيل نشرها في مختلف العالم، وفي هذا المطلب نحن على موعد مع رجالات أسهموا في الدعوة إلى دين الله بشكل عام، والمذهب الإباضي بشكل خاص.

لقد كانت البصرة هي منبع الإباضية منذ جابر بن زيد، فهي كما يقال موفد الطلبة ومسرح الإصلاح بينهم، والمعين المادي والمعنوي لأهل الدعوة في مختلف الأمصار، فقد تخرج من مدرسة البصرة فقهاء بارعون، وقادة مصلحون، لهم آراء مستقلة، وروايات موثوقة، فقد وجد في عهد أبي عبيدة علماء فطاحل شهد لهم بالعلم والمعرفة، ولا يمكن أن يتكون دعاة في لمحة بصر من دون وجود قواعد وأساسيات تم بناؤها، فقد كان هناك عمل مخلص ودؤوب من أجل إخراج قادة ودعاة.

بلغ التنظيم الإباضي أوج نشاطه حين تبلورت تنظيماته على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الداهية السياسي، الذي يعتبر واحدًا من الشخصيات اللامعة في مجال التنظيمات السرية[1]،

---

(١) مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة، ط: ٢٠٠٣م، ص٩٦.

ووصفه السالمي في عبارة موجزة بليغة بقوله: «ولقد تفجرت ينابيع الحكمة من قلب أبي عبيدة، وطلعت من لسانه شموس العلم»[١].

فمن معهده السردابي العالمي كان يتابع ما آلت إليه أحوال المسلمين، فيرى أنه لا بد من تصحيح صورة الإسلام التي شوهتها هذه الشعوب؛ حتى لا يرجعوا إلى كفرهم[٢].

كان أبو عبيدة يرسل «بعض الدعاة لاستطلاع أحوال الناس في المغرب، ومعرفة اتجاهاتهم، ودراسة عاداتهم وتقاليدهم، وطرق معيشتهم، ومقدار تطورهم الفكري والحضاري، ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة»[٣]، وذلك بواسطة الدعاة المدربين في المعهد السردابي، فيرسلهم لتلك الولايات لنشر المذهب الإباضي فيها، وهؤلاء هم الذين عرفوا في تأريخ الحركة الإباضية باسم حملة العلم؛ أي: الذين حملوا العلم من منابعه الأصلية في البصرة ونقلوه إلى الأمصار[٤]، وكان الدعاة الذين يرسلون إلى الأمصار

---

(١) عبد الله بن حميد السالمي، شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي، مكتبة الاستقامة ـ سلطنة عُمان، ١٩٩٣م، ج١ ص٦.

(٢) السيابي، الدعوة عند الإباضية، ص١٤.

(٣) د. عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الدينية، بدون تأريخ، ص٧، نقلا عن الفكر السياسي، ص٥٢.

(٤) د. عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب ـ الأردن، ١٩٧٨م، ط١، ص١٠٣.

على نهجين: فإما أن يكونوا من نفس البلد التي نشأ فيها، وإما أن يكونوا من غير أهل البلد.

إن الحماسة التي تجري في عروق حملة العلم تحير العاقل والسامع، فها هو أحدهم يتمنى أن يظهر ما في جعبته ولو ليوم واحد، ولا يبالي بعدها إن قطعت عنقه، عبارة سكبتها حلاوة التلذذ بالدعوة، ويظهر منها جليا أن أي شيء في سبيل الوصول إلى الحق هين ولو كان يكلف فراق الحياة.

فحملة العلم لهم شأن كبير في نشر المذهب الإباضي في مصر وغيرها من البلدان، وربما كان أول من قدم إلى مصر ثم بلاد المغرب داعيا للمذهب الإباضي؛ هو سلمة بن سعد الحضرمي في بداية القرن الثاني للهجرة، وإن كانت المصادر تذكر توجهه إلى بلاد المغرب، ولم تذكر أنه رحل إلى مصر؛ وذلك لعدة أسباب منها:

١) العبارة المنتشرة في أكثر الكتب الإباضية: «وذهبت هذه الدعوة المعتدلة التي لا تحيد عن منهج الإسلام في البلاد دون جيش أو سيف أو مال، فانتشرت في العراق والجزيرة العربية، ثم امتدت إلى مصر، ومن مصر دخلت بهدوء إلى ليبيا وما بعد ليبيا من المغرب الإسلامي الكبير»[1]، وعلى هذا فقد وصل المذهب

---

(١) انظر: الإباضية في موكب التاريخ، ص١٤٤؛ الفكر السياسي عند الإباضية، ص٥١؛ محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٣٩.

إلى مصر أولا، حيث انتشر بين بعض أهلها، ثم تسرب منها إلى بلاد المغرب، حيث انتشر هناك انتشارًا واسعًا.

٢) يطلق على مصر في الكثير من الأحيان بلاد المغرب، يقول الدكتور محمد: «حتى أنه يطلق على مصر في بعض الأحيان أنها إحدى دول المغرب»[١].

٣) الإباضية يطلقون على إباضية مصر: المغاربة، يقول الشيباني: «أصحابنا في مصر أحيانا يطلق عليهم المغاربة، وأحيانا المشارقة»[٢].

٤) وعندما يطلق لفظ: «إباضية المغرب الإسلامي» يقصدون «البلاد الواقعة بين الحدود المصرية والمحيط الأطلسي»[٣].

٥) من أخبر حملة العلم المصريين بخبر أبي عبيدة غير سلمة بن سعد؟ وقد أقبل من دعاهم سعد إلى المذهب الإباضي بكل شغف؛ لأنهم وجدوا فيه المساواة والعدل المسْتَمَدَّينِ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، حتى وثقوا في المذهب وأتباعه، فأرسلوا أولادهم لدراسته.

٦) الموقع الجغرافي لمصر، فالقاصد إلى بلاد المغرب لا بد له من المرور بمصر أولا.

---

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٢٩.

(٢) انظر: تعليق الشيباني على نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، اللمعة المرضية، مكتبة مسقط، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٥٩.

(٣) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري ـ سلطنة عُمان، ص١٠٩.

ومن الصعب على شـــخص أن يقطع بمفرده مسافات شاسعة من غير أصحاب أو دليل يهديه السبيل، وعلى هذا فسلمة بن سعد الحضرمي عندما ذهب إلى مصـــر وبلاد المغرب لم يكن بمفرده منطلقا من البصرة، وخاصـــة إذا ما علمنا أن بيـــن البصرة وبين مقصده سهولًا وجبالًا وأنهارًا.

ومن حملة العلم إلى مصر: ابن عباد المصري[١]، «وابن عباد مصري الأصل، لكنه عاد بعد إكماله دراسته في البصرة إلى مصر، واستقر فيها»[٢]، ومن المعروف أن ابن عباد له آراء في الكثير من الأحيان مغايرة لأتباعه، وربما يرجـــع هذا إلى: «منظومته الثقافية المرتبطة، وهي محصلة التأثر بالدين والعصر، والمحيط الثقافي، وبالجملة: البيئة التي يعيش فيها، هـــذه المنظومة هي التي تحدد طبيعة تفكيره، وتوجه ســـلوكه وحركته داخل المجتمع، وبسبب الاختلاف في التكوين الثقافي بين الأفراد؛ فمن البديهي أن يكون هناك تباين في وجهات النظر، ســـواء في البواعث أو الغايات أو المنهج المستخدم»[٣].

---

(١) انظر: الشماخي، السير، ج١ ص١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجـــب، الإباضية في مصـــر والمغرب، ص٨٤؛ وطلقـــات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشـــار الإباضية، ص١٤.

(٢) عمرو خليفة النامي دراسات عن الإباضية، ص١٣٤.

(٣) أ.د. محمد الزيني، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٢٠.

ومنهم أيضا شعيب بن المعروف (حي في: ١٧١هـ/٧٨٧م) أحد علماء الإباضية بمصر، تتلمذ على يد أبي عبيدة، وفي عهد الربيع كان أحد المنشقين[١] عنه، حيث ذهب إلى مصر لنشر أفكاره[٢].

وأيضا عيسى بن علقمة الذي له كتاب لم يصل إلينا بعنوان «التوحيد الكبير»[٣].

ومن حملة العلم كذلك إلى مصر أبو إسحاق إبراهيم وابن اليسع وأبو المؤرج عمر بن محمد[٤]، وأبو سعيد عبد الله بن عبد العزيز البصري من تلاميذ أبي عبيدة السبعة الذين روى عنهم أبو غانم في مدونته، ويقال إنه هاجر إلى مصر في آخر عمره[٥]،

---

(١) لمعرفة سبب الانشقاق والخلاف الذي دار في عهد أبي عبيدة وبينهم؛ راجع: أحمد الشماخي، كتاب السير، ج١ ص٩٧.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٤٥٨؛ الشماخي، السير، ج١ ص١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص١٤٧، ١٨٤؛ محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص١٤.

(٣) انظر: الشماخي، السير، ج١ ص١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص١٣٣؛ مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص٢٦٨؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص١٤.

(٤) انظر: الشماخي، السير، ج١ ص١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص١٤.

(٥) انظر: مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص٢٣٢.

وأبو منصور حاتم بن منصور الخرساني من الفقهاء البارزين، وممن أخذ عن الإمام أبي عبيدة، وتوجد له روايات في الجامع الصحيح، ورحل إلى مصر في آخر عمره[١].

وكذلك الإمام بشر بن غانم الخرساني، ارتحل من خراسان إلى البصرة، وتعلم على أيدي طلاب أبي عبيدة، مثل الإمام الربيع بن حبيب، ثم خرج إلى بلاد المغرب قاصدا الإمام محمد بن عبد الوهاب في تيهرت، فجعل من مصر محطة رئيسة له، حيث اتصل بابن عباد المصري أحد كبار فقهاء الإباضية في المدرسة المصرية، وبدأ تأثير ابن عباد واضحا في انفتاح أبي غانم على الفقه المقارن[٢]، وعاد إلى مصر واستقر بها بعد عودته من المغرب[٣].

وعبد الله بن عبد العزيز البصري أحد أساتذة أبي غانم من أعلام القرن الثاني الهجري، وهو فقيه ومجتهد من أهل الرأي، يؤثر الدليل على روايات الفقهاء، ذكر في المدونة أكثر من ألف ومائة مرة، ترك البصرة في آخر عمره، واستقر بمصر وتوفي بها[٤].

هؤلاء العلماء الكبار الذين أخرجتهم البصرة، صار منهم الفقيه والمفتي والسياسي، فبعدما أنهوا دراستهم بالبصرة رجعوا

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٢٤٦.

(٢) انظر: بشر بن غانم الخراساني، مدونة ابن غانم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص٩، ٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١١.

إلى مصر ينشـــرون المذهب، مما جعلهم يتمتعون بقدر كبير من الاحترام والتقدير بين المصريين، فنشـــروا المذهب بين الناس، واعتنقه على أيديهم عدد من المصريين، وبالتأكيد أنهم أسســـوا مدرسة فقهية شبيهة بســـرداب أبي عبيد، فتعلم فيها طلبة العلم، فصار يقصدها الإباضية من كل حدب وصوب، وهذا ما أذكره في مطلب «طلب العلم ودوره في الوجود الإباضي في مصر».

المطلب الثامن: طلب العلم:

العلم جوهر أي حضارة، وجوهـــر أي فكر، وهو معيار رقيها وتطورها واســـتمرارها، وقد حث ديننا الحنيف على طلب العلم والسعي في طلبه والترحال لجني ثماره؛ لما فيه من فضل ورفعة في الدنيا والآخرة.

وهكذا كان شـــأن أهل الحق والاســـتقامة منذ بداية عهدهم، شـــدوا الرحال من اليمن وعُمـــان ومصر والمغـــرب العربي إلى البصرة، فقطعوا الفيافي والقفار، وتركوا الأهل والأولاد والخلان؛ من أجل البحث عن العلم وأهله من منبعه الصافي.

وكان لا بد من وجود مدد جديد يتابع حلقة العلم عوضا عن التي كانت في البصرة، فطلاب العلم لا يقصدون مكانا يلتمســـون منه العلم إلا إذا كان فيه علماء كبـــار يعتد بهم في مجتمعهم، فقد حظيت مصر بهذا الجانب؛ لوجود حملة العلم الذي هاجروا إليها من البصرة كما أشـــرنا إليهم في مطلب حملـــة العلم، وخاصة في القرن الثاني؛ أمثـــال: ابن عباد المصري، وشـــعيب بن المعروف،

وعيسى بن علقمة، وأبي إسحاق إبراهيم، وابن اليسع، وأبي المؤرج عمر بن محمد، وأبي سعيد عبد الله بن عبد العزيز البصري.

فهؤلاء العلماء الجهابذة من الإباضية الذين اجتمعوا في مصر، وتعاصروا فيها، لا بد أنهم كوّنوا مدرسة إباضية على غرار مدرسة البصرة، وأصبحت هذه المدرسة مأوى لطلبة العلم من المصريين وغير المصريين، خصوصا وأنه في هذه الفترة لم تكن هناك أفكار متأصلة لفرقة معينة تعارض أفكارهم ومعتقداتهم.

ومن طلبة العلم في القرن الثاني الذين قصدوا المدرسة الإباضية المصرية الإمام بشر بن غانم الخرساني[١]، وأيضا أبو منصور حاتم بن منصور الخرساني من فقهاء خراسان، تتلمذ على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعبد الله بن عباد المصري الذي تلقى العلم على يديه في مصر[٢].

ولقد شهد الفقه الإباضي في القرن التاسع تراجعًا وجمودًا بالمغرب العربي، وكانت أسبابه سياسية وفكرية، وقد دفعت حركة الضعف في التأليف إلى الرحلة نحو المشرق؛ خاصة إلى مصر حيث الأزهر الشريف، وفي هذه الفترة استقبل الأزهر العديد من طلاب العلم من الإباضية الذين استوعبوا منهجه، وتعرفوا على أساليبه ومفردات مقرراته[٣]، هذه الرحلات إلى مصر عززت الوجود

---

(١) انظر: بشر بن غانم، مدونة ابن غانم، ص٨ ـ ٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٣.

(٣) كلمات محقق كتاب الإيضاح للشماخي، ص١٣.

الإباضي في مصر، فاختلطوا بعلماء مصر وبأهل مصر، وكان لهم دور في الجانب الثقافي والفكري والاقتصادي، ومن الذي قصدوا مصر للتعلم الشيخ أبو الربيع سليمان بن عبد الله المداني المبازيمي الشهير بالجربي، توجه إلى مصر سنة ٩١٦هـ/١٩١٠م، كانت غايته أن ينهل من العلوم العقلية والنقلية، ويأخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم الكيلاني المصري في مدرسة الجيعانية بشاطئ بحر النيل ببولاق من أعمال مصر، فقد تخصص في العلوم العقلية، وبرز في المنطق، وله شرح على متن إيساغوجي للشيخ أثير الدين الأبهري، وكان يدرس في الأزهر ثم طرد؛ لأنه إباضي، فأضرب الطلاب لطرده، واضطرت الإدارة لإعادته[١].

ومنهم من ذهب إلى مصر، ومن كثرة مخالطته لأقرانه من المصريين تأثر في لهجته، وهو أبو القاسم بن القاضي البديسي (ق١٠هـ ١٦م) من علماء جربة بتونس، عرف بالشيخ قاسم المصري؛ لأجل لهجته المصرية، تتلمذ على يد والده بجربة، ثم انتقل إلى مصر ليكمل تعليمه، فمكث بها فترة طويلة حتى صار من علماء زمانه، وخاصة في علوم اللغة العربية، وأصبح المقدم في الفتوى[٢].

---

(١) انظر: أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص٥٧ ـ ١٦٦؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٤٢٤.

(٢) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص٨٥؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٤ ص٧١٧.

ولقد بلغ طلبة العلم الذيـن وفدوا مصر مبلغـا عظيما بين المصرييـن، فالشـيخ محمد بـن عمر بـن أبي سـتة القصبي السدويكشي المشهور بالمحشي الذي اسـتقر بالوكالة طالبا، ثم مدرسا، وذاع صيته بمصر، حيث إنه قلما قرأ كتابا إلا وكتب عليه ما تيسـر من التعليق، كما تولى التدريس بالجامع الأزهر، وكان يشار إليه بالبدر؛ لإشعاع نوره في مجالس العلم والمناظرة بأروقة الأزهر، وقد امتدت إقامته بمصر ثمانية عشر عاما، ويذكر أنه تولى رئاسة البعثة العلمية بمصر[١].

وكذلك ممن رحل إلى مصر وعزز من الوجود الإباضي ابن عم المحشي أبو زيد أحمد بن أبي ستة القصبي، رحل إلى مصر، ودرس في الأزهر، وبالمدرسـة الإباضية بطولون، وشجعه على الإقامة بالقاهرة وجود عدد من أقاربه وأفراد أسرته[٢].

وعمرو بن رمضان الجربي التلاتي (ت: ١١٨٧هـ/١٧٧٣م) ولد في جربة، وأخذ العلم عن أبيه، ثم انتقل إلى مصر، حيث استقر في القاهرة، ودرَّس في المدرسة الإباضية بجامع ابن طولون، كما

---

(١) انظر: علي يحيى معمر، الإباضية في موكـب التاريخ، ص٦٠٦؛ الجعبيري، البعد الحضاري، ص١٤؛ محمد رجب، الإباضيـة في مصر، ص١٠١؛ أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصـر، ص٥٩ ـ ١٣٣؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٣٣١.

(٢) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصـر، ص٦٠؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٢ ص١٤٦.

كان يلقي دروسا تطوعية بالجامع الأزهر الشريف، وله باع في جمع الفنون من المعقول والمنقول[١].

ومما سبق نجد أن الإباضية قد تعلموا من علماء الأزهر، ولم يجدوا حرجا في ذلك، فعبد الله بن يحيى الباروني النفوسي (ت: ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) نزل جامع الأزهر، وأخذ العلم عن الشيخ إبراهيم السقا، والشيخ محمد الأشموني والشيخ عبد الرحيم الطهطاوي وغيرهم من أقطاب الأزهر آنذاك، وأثناء اشتغاله في الأزهر جلس مجلس المعلم في وكالة الجاموس[٢].

وبعض الطلبة عندما ذهب يتعلم؛ خالط العلماء والأدباء، وشارك في الحركات السياسة أمثال عمرو النامي الذي زار مصر، وكان ذهابه لإكمال دراسته العليا، والتحضير لرسالة الماجستير، وشجعه على الجلوس بها وجود أبي إسحاق اطفيش، نزيل مصر ودفينها، كما أنه اطلع على كنوز التراث الإباضي التي كانت تدخلها وكالة الجاموس في حي طولون، ودار الكتب المصرية[٣].

ذكرت هذه الأسماء جملة ليس تفصيلا؛ فالإباضية الذين درسوا في مصر ليسوا قليلين، سواء من الرعيل الأول أو من المعاصرين، ويقف الأزهر شامخا كالجبل، تصغي الدنيا لمنابره، أكثر من ألف

---

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٣ ص ٥٨٥.

(٣) سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، مكتبة الأنفال، ط ١: ١٤٢٩هـ، ص ٣٩.

عام وطلاب العلـــم والمعرفة مـــن كل صقع يغـــدون إليه جياعا، ويروحون عنه شباعا، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وإن كان موقع الأزهر بمصر إلا أنه يمتـــد ببصره وبصيرته إلى جميع أنحاء العالم، وكان قيامه على أساس الوســـطية، ولعل هذه الوسطية هي التي جلبت الإباضية إليه؛ من أجل ذلك قدم الأستاذ الدكتور محمد علي محمد ـ أســـتاذ التاريخ الحديث بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ـ ورقة عمل بعنوان «البعثات العُمانيـــة إلى الأزهر»، وفي ورقته ذكر جملة من المشـــايخ والقضاة والأســـاتذة الذين درسوا بجامعة الأزهر، وأصبحت لهم مناصب مرموقة في عُمان[1].

ولا شـــك أن هؤلاء طلبة العلم كان لهم تأثيـــر في المنظومة المصرية من تغير بعض الأفكار والتعريف بالمذهب وغيرها من الأمور التي ساعدت على تعزيز الوجود الإباضي في مصر.

---

(١) انظر: مقطع مرئي بعنـــوان: «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواســـم المشتركة».

دور الإباضية في مصر

المبحث الأول: دور الإباضية الديني.

المبحث الثاني: دور الإباضية السياسي.

المبحث الثالث: دور الإباضية الاجتماعي.

المبحث الرابع: دور الإباضية في التنمية الثقافية.

المبحث الخامس: دور الإباضية في التنمية الاقتصادية.

تمهيد:

الإباضية أينمـــا حلوا وارتحلوا وضعـــوا بصمة خير في تلك المنطقة، وفي مصر لم يكن الإباضية بمعزل عن الحركة العلمية والاقتصادية والسياسية التي شملت أطياف المصرين، بل كان لهم قدم صدق وقول حق في هذه المجالات منذ عهدهم الأول.

فالإباضية كانوا ولا يزالون يصنعون التاريخ مع غيرهم، ولم يكونوا يوما ما في جزيرة معزولـــة عن مجريات الواقع في العالم الإســـلامي، فتراجم أعلامهم جـــزء من تراجم غيرهـــم، وتأريخ أحداثهم جزء من تأريخ غيرهم، هم نسيج من هذا العالم الكبير[١]، «وما زالت الدراســـات التاريخية ـ قديمها وحديثها ـ قاصرة عن وضع تصور شامل لدور رجال الإباضية في تأريخ إفريقية، سواء في شمال القارة أو في شرقها أو في وســـطها»[٢]، فقد كان الذين وفدوا إلى مصر من بلاد المغرب لهم دور بارز وفعال في مختلف المجالات، وكان لوحدتهـــم الاجتماعية، وتضامنهم الاقتصادي،

---

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ص١٥.

(٢) محمد قرقش، تأريخ الإســـلام في إفريقيا مع دراســـة للدور العُماني، بسمة للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ص٢٠٩.

وتأثيرهم فـي الحيـاة الثقافية في مصـر؛ أعطـى الأمكنة التي يسكنونها طابعا مغربيا لا يُنكر إلى الآن[١].

إن الاحتـكاك اليومـي بالمخالفين من قبـل إباضية مصر، ومحاولة القيام بعملية التأثير إما مشافهة كحوارات شخصية وإما عن طريق القدوة بما يشـاهده المخالف من الإباضي وهو يقوم بأعمال تتعلق بالعبادات أو حتى بالأعمال الروتينية اليومية[٢]؛ كان لها أثرها في الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

وسنلاحظ دور أبي إسحاق كان أكثر من غيره؛ لأن حياة أبي إسحاق جديرة بالاعتبار والاقتداء، فهي نموذج حيٌّ لهؤلاء الرواد الإصطلاحين الذين حملوا عبء النهضة العربية الإسلامية ما بين الحربين على كواهلهم، وناضلوا بأقلامهـم ومواقفهم، وتصدوا لكل أعداء الإسلام ـ وما أكثرهم ـ واستطاعوا بإيمانهم الراسخ أن يفضحوا أسـاليب الغزو الفكـري التي كان يدسـها الصليبيون مندسين خلف جيوشهم العسكرية والتبشيرية والاستشرافية[٣].

---

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق المغاربة في الإسـكندرية في القرن التاسع عشـر، المجلة التاريخية المغربية ١٩٩٨م العدد ٨٨ ص٥٦٧، نقلا عن أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص١٠١.

(٢) صالح الهطالي، دور المذهب في التأثير والتأثر، ص٨.

(٣) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص١٠.

المبحث الأول

دور الإباضية الديني

كان للإباضية تأثيرٌ في الجانب الديني منذ عهدهم الأول، من خلال الدعوة التي قامـــوا بها في مختلف الأزمنـــة، ومن خلال الاختلاط والانسجام مع غيرهم، وكانت أي حركة تصدر منهم في المجال السياسي أو العلمي هي نابعة من رحم الشريعة الإسلامية، فكانت هي المحرك والموجه لهم في حياتهم.

وإذا جئنا إلى الأحـــداث التاريخية نجـــد أن علماء الإباضية تركوا أثرًا واضحًا وخاصة في القرن الثاني، فهم من العلماء الكبار الذين أخرجتهم البصرة، فصار منهم الفقيه والمفتي والسياســـي، فبعدما أنهوا دراستهم بالبصرة رجعوا إلى مصر ينشرون المذهب؛ مما جعلهـــم يتمتعون بقـــدر كبير مـــن الاحتـــرام والتقدير بين المصريين، فنشـــروا المذهب الإباضي بين الناس، واعتنقه على أيديهم عدد من المصريين، وبالتأكيد أنهم أسســـوا مدرسة فقهية شبيهة بسرداب أبي عبيدة، فتعلم فيها طلبة العلم، فصار يقصدها الإباضية من كل حدب وصوب، وهـــذا ما ذكرته في مطلب طلبة العلم ودوره في الوجود الإباضي، فـ«الدعوة بالأسلوب الحسن

تؤلف النافر، وتقرب الشارد، وتدني البعيد؛ حتى يكون الخصم اللدود كأنه ولي حميم»[١].

وقد بذلت جهدا لأجد معلومة في كتاب مصري تتحدث عن منزلة الإباضية في مصر وقدرهم؛ ليكون شاهدًا من أرض الواقع، حتى أكرمني ربي أن وجدت في كتاب تأريخ المصريين هذه المعلومة التي تدل على وجود الإباضية وبلوغهم مكانة مرموقة عندما قال صاحب الكتاب: «محمد بن يحيي بن أبي المغيرة بن أخضر المصري يكنى أبا عبدالله، محدث، كتبت عنه، وكانوا يوثقونه، كان إباضيا أديبا، له منزلة عند أهل البلد، توفي في ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائتين»[٢]، وهذا العالم الجليل الذي كان له أثر كبير بين المصريين هو أصله مصري وليس مغتربًا لأن صاحب الكتاب ذكره في الجزء الأول، ولم يذكره في الجزء الثاني الذي يتحدث عن تأريخ الغرباء.

وبلغ الإباضية في نشاطهم مبلغًا عظيما بين أقرانهم، فالشيخ محمد بن عمر بن أبي ستة القصبي السدويكشي المشهور بالمحشي الذي استقر بالوكالة طالبا، ثم مدرسا، وذاع صيته بمصر حيث إنه قلما قرأ كتابا إلا وكتب عليه ما تيسر من التعليق، كما تولى التدريس بالجامع الأزهر، وكان يشار إليه «بالبدر»

---

(١) أحمد بن حمد الخليلي، الدين والحياة، ص١٣٧.

(٢) أبو سعيد عبد الرحمن الصدفي، تأريخ ابن يونس الصديق، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١ ص٤٦٥.

لإشـــعاع نوره في مجالس العلم والمناظرة بأروقـــة الأزهر، وقد امتدت إقامته بمصر ثمانية عشـــر عاما، فإذا أطلقت كلمة «البدر» بين علماء الأزهر المعني بها أبو عبدالله بن أبي ســـتة[١]، وممن تطوع لإلقـــاء دروسٍ في الأزهـــر أبو حفـــص عمرو بن رمضان التلاتي[٢] الذي أخفى سفره عن أهله خشية أن يمنع، فدخل مصر وتلقى العلم لفترة، ثم تولـــى التدريس بوكالة الجاموس بانتظام، فحضر حلقته العديد من الطلبة الجربيين وغيرهم وصارت الوكالة في عهده تعج بالحركة، وامتد نشاط التلاتي إلى الأزهر، فتطوع وألقى به دروسا، وقد استقر بالوكالة في مصر إلى أن توفاه الله[٣].

ومنهم من ذهـــب إلى مصر، ومـــن كثرة مخالطـــة أقرانه من المصريين تأثرت لهجته، وهو أبو القاســـم بن القاضي البديســـي (ق١٠هـ ١٦م) من علماء جربة بتونس، عرف بالشيخ قاسم المصري لأجل لهجته المصرية، تتلمذ على يد والده بجربة، ثم انتقل إلى

---

(١) انظر: علي يحيى معمر، الإباضية في موكـــب التاريخ، ص٦٠٦؛ الجعبيري، البعد الحضاري، ص١٤٧؛ محمد رجب، الإباضية في مصر، ص١٠١؛ أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصـــر، ص٥٩ ـ ١٣٣؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٣٣١.

(٢) عمرو بن رمضان الجربي التلاتي (ت: ١١٨٧هـ/١٧٧٣م) ولد في جربة، أخذ العلم عن أبيه، ثـــم انتقل إلى مصر حيث اســـتقر في القاهـــرة، ودرس في المدرســـة الإباضية بجامع ابن طولون، كما يلقي دروســـا تطوعية بالجامع الأزهر الشـــريف، وله باع في في جمع الفنون من المعقول والمنقول. انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٦٦٣، ٦٦٤.

(٣) انظر: الجعبيري، البعد الحضـــاري، ص١٦١؛ أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص٦١، ١٣٨.

مصر ليكمل تعلمه، فمكث بها طويلًا حتى صار من علماء زمانه، وبخاصة علوم اللغة العربية، وأصبح المقدم في الفتوى[١]، ونجد هنا التأثير المصري على القادمين من خارجها، هذا التأثير يدل دلالة واضحة على الانسجام والاختلاط مع المصريين، فلكونه عالمًا ومفتيًا فبالتأكيد أنه كان يجالس العلماء المصريين.

ولم يكن الإباضية بمعزل عن غيرهم، فنرى حوارات ومناظرات تجمعهم مع غيرهم، فـ«من المعلوم أنه ليس كل جدل مذموما، فهناك الجدل المحمود الذي يقصد به الدعاء إلى الحق المبين والحكمة والموعظة الحسنة، ووسمه القرآن بالتي هي أحسن... فالحوار منهج لتبادل الرأي، واستخلاص زبدة الفكر، وصفوة القول، من خلال تقادح الأذهان بين جمهرة المثقفين للوصول إلى كلمة سواء ونصرة الرأي الصواب»[٢] بشرط أن تكون مؤطرة بالحب واللين والرد العلمي المنطقي، المبنية على أسس متينة وصلبة، وليست على أرض هشة، وتكون بعيدة كل البعد عن السباب والشتائم: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، فلا بد من وجود دعوة حق تسري في أوساط الناس كما يسري الضوء في الفضاء فيطوي منه سجاف الظلام؛ ليتعاونوا جميعا على البر والتقوى[٣].

---

(١) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص٨٥؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٤ ص٧١٧.

(٢) أ. د. الزيني، منهج للحوار، ص٥٥.

(٣) الخليلي، الدين والحياة، ص٤١٧ ـ ٤١٨.

فقد كان تجمع الإباضية في مصر مع غيرهم حوارات كثيرة للتعريف بالمذهب، والرد على المتهجمين على المذهب، وممن كتب في ذلك رائد الصحافة الإباضية قاسم بن سعيد الشماخي، الذي أثَّر في الحياة الدينية في مصر بالتعريف بالمذهب وتبيان الحق، فكتب رسالة بعنوان «القول المتين في الرد على المخالفين»، أنشأها سنة ١٣٢٣هـ في نقض أغاليط تضمنتها مجلة تدعى «مجلة الإسلام» لصاحبها ومحررها أحمد علي الشاذلي الأزهري، وهو يحارب فيها كل دعوات الإصلاح والتجديد، وتركز رد الشماخي في نقطتين: مسألة افتراق الأمة إلى مذاهب، ومسألة تميز الإباضية من الخوارج، وتوضيح معتقدهم، وقال عن المجلة العلامة السيد محمد رشيد رضا في مجلة المنار[١]: وكان الشيخ قاسم ظن أن لهذه المجلة شأنا، أو لما تكتبه وقعا، فعنى بالرد عليها، وما هي مما يرد عليه، ولو عرف حقيقتها لما بذل شيئا من الزمن في قراءتها[٢]، وكذلك كتب رسالة بعنوان «الظهور المحتوم في الرد على العلامة الأزهري طموم»[٣] وهي رسالة تعريف

---

(١) المنار مجلة شهرية: تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران، لمنشئها السيد محمد رشيد رضا. عنوانها: مصر بشارع درب الجماميز. تطبع بمطبعة المنار. وصدر أول أعدادها سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٨م ـ سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني ـ قبسات من أنوار البدر الزاهر ـ الأجيال، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٥٩.

(٢) الشيباني، أنوار من قبسات البدر الزاهر، ص١٦٦.

(٣) خرج الكتاب مطبوعًا عام ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م، نشر وتوزيع مكتبة خزائن الآثار، بسلطنة عُمان، بركاء.

بالمذهب الإباضي والمردود عليه هــو العلامة محمد طموم أحد المشايخ بأزهر مصر[١].

أقامت المجلات التي يصدرها الإباضية في مصر دورًا بارزًا في تغير مفاهيم عديدة تعلقت بالمذهب الإباضي أو بحال الأمة، فهذه المجلات تطبع في مصر وتوزع أيضا فيها؛ فبالتأكيد لها دورٌ جليٌ، وقــد أثرت على البعــض حتى في مذهبــه، فيقول الإمام السالمي عن مصطفى المصري: «فرجع عن مذهب الأشاعرة إلى مذهب الحق، وهو أوســع أترابه علما وفاقهم كياســة، ها هو قد نصب نفسه داعيا إلى الله ينادي بلسان الحال والمقال»[٢].

لو كانت في مصر دولة إباضية لأصبح أثرها حاضرًا وواضحًا، يقول الشيخ أحمد بن سعود السيابي معلقا على أهمية وجود دولة تحفظ المذهب: «أخبرني الشــيخ محمد بــن إبراهيم اطفيش أن والده الشيخ أبا إســحاق اطفيش كان يتمنى أن يدرس المذهب الإباضي في الأزهر، وقد حاول ذلك ولكنه لم يُوفق، وقال إن هذا الأمر يحتاج إلى قرار سياسي يتبناه ويتابعه»[٣]، وعسى أن تكون محاولة أبي إســحاق حاصدة لثمارها في هذا الوقت بعد الندوة التــي أقيمت في جامعة الســلطان قابــوس التي كانــت بعنوان (العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة)؛ سأتحدث عنها في الفصل القادم.

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٨.

(٢) السالمي، اللمعة المرضية، ص٨٨.

(٣) السيابي، التواصل الإباضي، ص٤٦.

المبحث الثاني

دور الإباضية السياسي

تميزت المدرسة الإباضية منذ نشأتها بعدم الفصل بين الدين والدولة؛ لأن عدم الفصل ضرورة شرعية تحتاج إلى حراسة وسياسة، فهي تستلزم وجود شخصية سياسية تؤمن به، وتسعى إلى نشره بين الناس، وإلا لبقيت تلك التعاليم مجرد نظريات لا أثر لها على الواقع[١]، وهذا ما يراه الشيخ أحمد الخليلي في أن المذهب الإباضي لا يفصل بين السياسة والدين، وأنهما (توأمان)، ويسيران جنبا إلى جنب، وأن المذهب الإباضي يهتم بالدين، ولا يغفل عن السياسة[٢]، «وعلى الرغم من أن لمنصب الإمام بصورة أساسية صبغة روحية؛ فإن وظائف الإمام لا تقتصر أبدا على الممارسات الدينية، بل تشمل كل شؤون الدولة السياسية والعسكرية والمالية، علما أن الإمامة لم تكن حكرا على العلماء فقد شغل هذا المنصب... شخصيات مستقلة لا تنتمي إلى جماعة العلماء»[٣].

---

(١) إسماعيل الأغبري، المدخل إلى الفقه الإباضي، ص٣١٤.

(٢) محمد المدني، الإباضية، ص١٢.

(٣) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص٣٤٦.

كان للإباضية في مصر نشـاطٌ كبيرٌ، وكان لهـم فيها علماء بارزون وصلوا إلى درجة الفتيا، وكان لهم وجود قوي حتى أنهم تدخلوا أحيانا في مجرى الأحداث السياسية في مصر وخارجها[١]، فمن خلال الأسـطر الآتية سـيتبين عمق العلاقة بيـن الإباضية والسياسة منذ عهدهم الأول في مصر.

كانت الدولـة الأموية تقـف بالمرصاد لانتشـار المذاهب المعارضة لها، وكان على رأس هذه المذاهب المذهب الإباضي الذي تسـلل إلى مصر قبل أن ينتهي القرن الأول للهجرة[٢]، ففي عهد الوليد بن عبد الملك كان الأمير على مصر قرة بن شـريك العبسي القنسريني، أمره الوليد ببناء جامع الفسطاط والزيادة فيه، وقيل إن قرة بن شـريك كان إذا انصرف الصناع من بناء المسجد دخل المسجد، ودعا بالخمر والطبل والمزمار، فشرب، ويقول: لنا الليل، ولهم النهار، وكان قرة بن شريك من أظلم خلق الله، وهمت الإباضية بقتلـه والفتك به، وتبايعـوا على ذلـك، فبلغه ذلك، فقتلهم[٣].

وقد قام إباضيـة مصر بالاتصال بإخوانهـم من الإباضية في الخارج، ففي عهد طالب الحق عبد الله بـن يحيى الكندي الذي

---

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨.

(٢) بتصرف: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ٢٦٧.

(٣) أبو سـعيد عبد الرحمن الصدفي، تأريخ ابن يونـس الصديق، ج ٢ ص ١٦٧. وانظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، ص ٦٤.

أعلن قيام دولته في اليمن أرسل داعيه إلى مصر لدعوة أهل مصر لبيعته، فاستجاب له نفر من قبيلة تجيب اليمنية وغيرها من القبائل التي تقيم في مصر[١]، فبلغ هذا الأمر حسان بن عتاهية الذي كان قائدًا للشرطة، فقبض عليهم، وأمر بقتلهم، فقتلوا، وكان هذا في آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد[٢].

أما في عصر الدولة العباسية قامت حركة إباضية مصرية ضد الحكم العباسي فيها عام ٢١١هـ/٨٢٦م في عصر الخليفة المأمون، وكانت حركة خطرة عليهم؛ حيث أرسل المأمون قائد جنده عبدالله بن طاهر الفارسي لقمع الثورة والثوار، فانتصر عليهم[٣].

ولم يكن الإباضية على عداء مع غيرهم في كل الأوقات، «فعندما يكون الإباضية مواطنين في دولة ملتزمة بمذهب غير مذهبهم؛ فإن عليهم أن يخضعوا لقوانينها، وأن يرضوا بأحكامها، ولو كانت مخالفة لآراء مذهبهم... وعليهم أن يتعاونوا معها في كل شيء ما لم يكن معصية»[٤]، وهذا ما نراه في مصر من مشاركة الإباضة في المناصب السياسية، ففي ربيع الآخر من عام ٣٢٨هـ/ أكتوبر ٨٥٢م كان الوالي الذي تولى حكم مصر معتنقا لهذا

---

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص١٢٥، نقلا عن سيدة الكاشف، مصر في فجر الإسلام، ص١٤٠

(٢) بتصرف: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص٢٦٧

(٣) بتصرف: محمد رجب، الإباضية في مصر، ص١٢٨

(٤) معمر علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، جمعية التراث غرداية، ط٣: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٣٩٤

المذهب؛ لذلك اعتبره المؤرخون إباضيا؛ مما جعل ابن حزم الظاهري يقول: إنه لم ير في مصر لبني العباس مثله، وإنه كان من أعدل الناس، وإنه كان يتهم بمذهب الخوارج لشدة عدله وتحريه للحق.

وظل إسهام الإباضية في مجال السياسة في مصر يظهر بين الحين والآخر، سواء بشكل جماعي أو فردي، ومن أبرز الشخصيات التي أثرت في مسيرة الحركة السياسة في مصر:

١) الشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت محرم ١٣٠٢هـ)، الذي قدم من المغرب للتزود من العلم الأزهري، والتضلع في العلوم العربية والشرعية، وكان رحيله إلى مصر حوالي سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، ويبدو أنه رجع إلى وطنه فترة قصيرة، لينزل مصر بعد ذلك مستوطنا لها ومقيما بها حتى وفاته؛ حيث درس في الأزهر على الشيخ السقا (ت: ١٢٩٨)، وجمع بين العلم الشرعي والمسؤولية السياسية؛ حيث شغل منصبا سياسيا هو قنصل تونس بمصر يهتم بأفراد الجالية وشؤونها الاقتصادية والسياسية، وذلك في عهد الباي أحمد مصطفى (١٢٥٣ ـ ١٢٧١)، والباي محمد الصادق بن حسن (١٢٧٦ ـ ١٢٩٩)، وكان سياسيا محنكا، حتى صار مرجعا ومستشارا للخديوي توفيق باشا (١٢٩٦ ـ ١٢٠٩)[1]، فهو «يحتل مكانة مرموقة في الأوساط

(١) انظر: الوقف الجربي، ص١٤٩/١٦٥؛ والشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٥٢.

العلمية، فيكفي للدلالة على مكانته أن الحكومة التونسية قد اختارته وكيلا لها على شؤونها في مصر على ما لتونس من الرجال في ذلك الحين»[١].

٢) أما ابنه قاسم بن سعيد الشماخي فقد ورث أباه في منصبه؛ إذ عينته الدولة التونسية قنصلا عاملا لها بمصر، إضافة إلى اشتغاله في عدة وظائف مرموقة أهلته لها معرفته باللغة الإنجليزية[٢]، فقد تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم العصرية بمدرسة حديثة رغم معارضة والده من الدخول بها خوفا عليه من تأثره بالغرب، ثم وافق بعد توسط باشا خزندار أحد أعيان مصر[٣].

٣) سليمان باشا الباروني، نصحه والي طرابلس بالسفر إلى مصر أو تونس، فاختار مصر المحروسة عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)[٤]، ربما لوجود الجالية الإباضية والأزهر الشريف، وكذلك للأحداث التي تعيشها مصر في تلك الفترة من نشاط ثقافي وفكري، وظهور الجمعيات والأحزاب التي تسعى إلى التغير، واستغل الباروني هذه الظروف في مصر، فأخذ ينشر أفكاره السياسية وذلك بنشر مقالاته في الصحف، ووجد الباروني أن من الضروري أن ينشر الفكر الإسلامي السياسي الصحيح في نظره، وقد سار على منهج

---

(١) الإباضية في موكب التاريخ، ص٤٢٦.

(٢) انظر: معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص٣٨١، ٣٨٢؛ وقبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٦١؛ ومحمد المدني، الإباضية، ص١٥٤.

(٣) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٦٠.

(٤) بتصرف: جبران محمد مسعود، سليمان الباروني وآثاره.

جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، وهي فكر الجامعة الإسلامية التي نادى به الكثيرون[١].

ويعتبر الباروني من أبرز السياسيين في عصره[٢]، فقد كان مندوبًا للسيد تيمور بن فيصل إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن السعودي من أجل الصلح بين سلطان نجد والملك علي بن حسين، وكانت الرسالة عام ١٣٤٣هـ، ومما جاء فيها: «... منذ برهة من الزمن انقطعت المواصلات والمكاتبات الودية بيننا فعساها لشاغل خير والباعث على تحرير طرسنا هذا الودادي هو أن حامله جناب الشيخ الجليل عندنا سليمان باشا الباروني أحد رجال الإسلام ومن علماء مذهبنا... كلفناه بأن يعرب لعظمتكم عن إحساساتنا الدينية توضيحا لما كتبناه هنا، فالمرجو اعتماد كلامه في هذا الصدد فإنه الثقة الأمين، ولا شك في أن لكم الخبرة التامة فيه وفي أمثاله[٣]، وله تفان وتضحية في كل ما يتعلق بإصلاح

---

(١) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني ـ في المهجر، تخرج في كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص ٤٧

(٢) انظر: المنير عبد الحميد بن سعدون، سليمان باشا الباروني وحضوره في الثقافة العُمانية، ص ١٣.

(٣) لم يأتِ كلام السلطان تيمور من عبث عندما وصفه بهذا الوصف فقد خبر الباروني السياسة من كل جوانبها وعرفها وعرفته من معركته مع الاحتلال الإيطالي في ليبيا، وعلاقته مع الدولة العثمانية التي أوصلته إلى عضوية مجلس المبعوثين في تركيا، وله علاقات مع أصحاب القرار في مختلف الأمصار وهو في الحقيقة رجل يشار إليه في سبيل الإصلاح، ومن أراد الزيادة فليقرأ كتاب سليمان باشا الباروني في أطوار حياته للشيخ إبراهيم أبي اليقظان.

حال الأمة الإسلامية»[١]، لقد بارك الإمام محمد بن عبد الله الخليلي هذه الوساطة، فكتب إلى الباروني: «وقد استحسنا جدا تكليف السلطان إياك بالتوجه إلى الحجاز، مندوبا من طرفه، وحامل كتب نصحته إلى المتحابين، فنعم الرأي رأيتماه»[٢].

٤) إبراهيم بن يوسف اطفيش (أبو إسحاق) أحد أبرز الرجال الذين أثروا في الحياة السياسية، فهو من تلاميذ قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، فقد أسهم في النهضة الإصلاحية داخل الجزائر وخارجها[٣]، «لقد كان جسمه في القاهرة، ولكن فكره وقلبه في الجزائر، ولم يغفل عنها يوما واحدا، فيجاهد لحياتها وشباب نهضتها، وما أنشأ مجلته القوية المفيدة (المنهاج) إلا لتكون غذاء وروحا لنهضة الجزائر، وسلاحا للجزائر في الخارج يقمع الظالمين والمفسدين»[٤].

وقد شارك أبو إسحاق بدعوة من المفتي الحسيني في المؤتمر الإسلامي الأول للقدس عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ممثلا للإباضية ولشمال إفريقيا[٥].

---

(١) المنهاج، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) الربخية، دور الإباضية في توحيد الأمة، ص٣٠.

(٣) عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مكتبة الضامري، ط٣: ٢٠٠٧م، ص١٣١.

(٤) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثروتها المباركة، المطبعة العربية ـ الجزائر، ١٩٦٩م، ص٣٧ ـ ٣٨.

(٥) انظر ما جاء في المؤتمر: قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص٣٨٤.

لأبي إسحاق إســهام فعال في الثورة العُمانية، فقد كان عضوا نشطا في مكتب إمامة عُمان بالقاهرة[١]، وعندمت تكلم حسين عبيد غانم غباش عــن القضية العُمانية في الجامعــة العربية؛ قال: «وقد لعب الشيخ إبراهيم اطفيش، وهو سليل أسرة من كبار العلماء في ميزاب الجزائر؛ دورًا سياسيًّا نشطًا لصالح عُمان، وإذ عرف بصفته ســفير عُمان في القاهرة؛ فقد وضع كل ثقله ليحصل على انضمام عُمان إلى الجامعــة العربية وعلى إدانة الاعتــداءات البريطانية»[٢] وهي من أهم القضايا التي شغلت بال أبي إسحاق، وعمل ميدانيا في مجالات السياســة[٣]، ففي ســنة ١٩٥٤م/١٣٧٤هـ شغل منصب سفير لعُمان في الجامعة العربية بالقاهرة وفي سنة ١٩٥٦م/١٣٧٦هـ أسس أول مكتب سياسي للدولة العُمانية في القاهرة[٤].

وكانت صلات أبي إسحاق بالحركات الإسلامية متينة جدًّا، فقد شارك في جمعية الهداية الإسلامية التي أنشأها صديقه الشيخ محمد الخضر، وعمل أيضا في صفوف جمعية الشباب المسلمين، وكان عضوا في لجنة التأســيس، وكان على صلة وطيدة بالشهيد حسن البناء[٥].

---

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٤ ص ٤٦.

(٢) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص ٣١٧.

(٣) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ٧٥.

(٤) مجلة الحياة العدد الرابع عشر مقال للدكتور مصطفى بن صالح بعنوان الشيخ أبو إسحاق اطفيش فقيها، ص ٥٦.

(٥) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٥٢.

٥) عمرو خليفة النامي (و ١٣٤٨هـ/١٩٣٩م)[١]، انخرط في الحياة السياسية قليلًا بجانب دراسته، ويبدو أن توجهاته هذه عجلت خروجه من مصر، فأغلقت الأبواب في وجهه عقب أحداث سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، وما صاحبها من اعتقالات الإخوان المسلمين، وتضييق الخناق عليهم، ولم يجد بدًّا من الفرار بجلدته؛ لكونه يدور في الدائرة نفسها، تاركا شأن الدراسات العليا، وهي نفس السنة التي توفي فيها أبو إسحاق[٢]، ويذكر أن السلطات المصرية حكمت على النامي بخمس عشرة سنة سجنًا لاتصاله المباشر بسيد قطب[٣].

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٦٦٦.
(٢) الشيباني، عمرو النامي، ص ٤٠.
(٣) دراسات عن الإباضية، ص ١٢.

المبحث الثالث

دور الإباضية الاجتماعي

إن الإنسان مدني بطبعه، اجتماعي بفطرته، فهو يندفع إلى العيش ضمن جماعة يتفاعل معها، فينتج عن هذا التفاعل ألوانًا من المواقف، إن من ينطلق من فكرة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ لا يمكن أن تتوه به السبل، ولا قدرة للطرق أن تتشتت به وتفرقه، ومن كان مبدؤه الحرية الإسلامية لا ينظر إلى الشكل أو اللون، وهنا تكمن العدالة الإنسانية من يتمسك بهذا النظام، يستطيع أن يقف على أرض صلبة تغمره الفرحة والسعادة وهكذا كان دأب أصحابنا في مصر، فقد تطورت العلاقات الاجتماعية بين الإباضية والمصريين.

فكان لمخالطتهم المجتمع المصري أثر طيب في تقوية العلاقات بينهم، وهذا هو شأنهم منذ القرن الثاني الهجري، فمحمد بن عباد لم يكن يستفتى من الحكام فقط، وإنما كان يستفتى أيضا من عامة الناس الذين كانوا يأتون إليه من أنحاء مصر أو من بلاد المغرب[1]، فعلاقتهم الاجتماعية هي كانت الأساس

---

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص٩٦؛ نقلا عن الشماخي، ج١ ص١١٢، ١٩٨.

في بناء بقيـــة العلاقات، فنتجـــت بينهم علاقات دينيـــة وثقافية وسياسية كما ذكرت ذلك سلفا، فلم تكن هذه العلاقات بالكلام، بل تعدت إلى أبعد من ذلك، فقد جمعتهم رابطة مقدســـة وهي الزواج، وهذا ما نجده في العصور المتأخرة، فقد تزوج سعيد بن عمر الإباضي بســـيدة مصرية وهـــي صديقة لجيهان الســـادات، وكذلك الأمر مع أســـرة بن داود حيث تزوج الشـــيخ مهني من فاطمـــة عبد الله البارونـــي، وخلّف ثلاثـــة ذكور، كلهـــم تزوجوا بمصريات، وهـــذه الزيجـــات الطيبة تكون أحيانـــا من الجانب المصري للجاليات الإباضية، فعبد الرحمن الشرباصي المصري تزوج بأم محمد ابنة الشيخ مهني الذي ذكرناه سالفا[١].

وسنذكر بعضًا من العلاقات الاجتماعية الوطيدة التي ربطت بين رجالات الإباضية ومفكرين وأدباء مصر؛ ومن أبرزهم:

١) إبراهيم بن ســـعيد التالبي من علماء أســـرة شهيرة بالعلم أصلها من والغ بجربة، وإقامتها بمصر، كان فقيها له سمعة كبيرة بين شـــيوخ جامع الأزهر متينة مع بعضهم، تولى إدارة الأوقاف الإباضية بمصر ومن بينها وكالة الجاموس[٢].

٢) الشـــيخ محمد دبوز الذي غامر بالســـفر برًّا على الأرجل، وبدون جواز أيام الحـــرب العالمية الثانية قاطعا الحدود التونســـية

---

(١) الوقف الجربي، ص ١٠٧.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٢ ص ١٥؛ والوقف الجربي، ص ٦٢.

والليبية والمصرية الطويلة، وقد استقر بالقاهرة، وانتظم بالدراسة في الأزهر، وارتبط بدار الكتب المصرية، وتعرف على أدباء مصر؛ مثل: محمد عطية الأبراشي، وأنور الجندي، وسعيد العريان، ودرس على يد الدكتور، عزام وأحمد أمين، وعباس محمود العقاد[١].

٣) قطب الأئمة أمحمد بن يوسف اطفيش، فقد مر على الوكالة أثناء حجه، ولقي بالأزهر الشريف علماء أجلاء، تحاور معهم حول المشكلات الاجتماعية السائدة على ساحة العلم ووسائل معالجتها[٢].

٤) الشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت محرم ١٣٠٢هـ)، كانت له وجاهته وحضوره المشهود له بمصر، حتى أقره جهابذة الأزهر بصلاح مذهبه واستقامته؛ كالشيخ أبي العلا الخلفلوي، والشيخ عبد الرحمن البحراوس، والشيخ محمد العباسي مفتي الديار المصرية[٣].

٥) قاسم بن سعيد الشماخي ارتبط بعلاقات عديدة مع أفاضل وأعيان وعلماء عصره، فمن أهل مصر صاحبه ورفيقه مصطفى بن إسماعيل العمري الفارضي (ت: ١٣٣٠هـ)... والشيخ المصلح محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ)، وتلميذه العلامة السيد محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤)[٤].

---

(١) الوقف الجربي، ص١٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٥.

(٣) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٥٢.

(٤) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٦١.

٦) الشيخ سلميان الباروني كانت له علاقات قوية مع رجالات مصر من العلمـــاء والأدباء، أمثـــال المفكر والكاتـــب والمحاضر بالجامعات المصرية الشـــيخ طنطـــاوي جوهري، ومع إســـماعيل صبري، وهو من شيوخ الإدارة والقضاء في الديار المصرية[١]، كما كانت له صلات مع العديد من الجمعيات، كان أبرزها جمعية مكارم الأخلاق، وانتمى إلى الحزب الوطني الذي كان يرأسه مصطفى[٢].

كما قام الباروني ببعض الأعمال البطولية؛ من ذلك أنه انبرى خطيبا يدافع عن حزب مصطفى كامل (ت: ١٣٢٦هـ)، وهو صاحب جريدة اللواء، ولقد رثاه الباروني عندما توفي[٣].

وجمعت بالباروني علاقة وطيدة مع الكاتب الكبير مصطفى صادق المنفلوطي، نلتمســـها من القصيدة التي بعثها إليه ليقرض ديوان الحضرمي:

بلطف شعرك مصطفى لطفي غدا ... نظم ابن قيس حائرا أعلى الرتب
فلأنـــت أعظـــم ناثـــر ومقرظ ... في عصرنا عصر السياسة والأدب
حسب ابن قيس شاهد تقريظكم ... فليبتهج وله الفخار ولا عجب
ولك الشـــهادة من بروني أتى ... من مغرب فاقبل بفضل ما كتب

---

(١) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني ـ في المهجر، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦.

(٣) يوسف بن يعقوب المعولي، ســـليمان باشـــا الباروني وآراؤه في الإصلاح السياسي والفكري، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦م، ص١٨١.

ونلمس من القصيدة مدى إعجاب البارواني بشعر المنفلوطي؛ حتى أنه اختاره لتقريض ديوان الحضرمي، وهذا دليل على وجود علاقة قوية بينهما، وكذلك في القصيدة دليل على احتكار البارواني، ومشاركته في الحياة السياسية والأدبية في مصر[١].

وكتب البارواني تقريظًا لكتاب الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا مملؤة بعبارات الثناء التي تنبئ عن صلة وطيدة بين العلمين، لا يمكن أن نعتبرها مجرد تعارف عابر[٢].

٧) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش من الشخصيات المؤثرة في الحياة الاجتماعية في مصر، فقد كانت له علاقات واسعة وكبيرة، وارتبط بصلات حميمة مع كبار العلماء؛ أمثال: الشيخ حسن البنا، والشيخ أحمد الباقوري وزير الأوقاف، والشيخ محب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية، ورئيس تحرير جريدتي الفتح والزهراء، والشيخ الأزهري، والشيخ علي سرور الزنكلوني، والشيخ محمد الخضر حسين التونسي شيخ جامع الأزهر، والشيخ الداعية محمد رشيد رضا صاحب المنار[٣]، وحمد حسين الذهبي الذي سلمه نسخة من تفسير هود بن محكم الهواري،

---

(١) يوسف بن يعقوب المعولي، سليمان باشا الباروني وآراؤه في الإصلاح السياسي والفكري، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦م، ص ١٨٣.

(٢) انظر: الشيباني، أنوار من قبسات البدر الزاهر، ص ٣٧٤.

(٣) يوجد عدد من علماء الإباضية لهم علاقة وطيدة معه ـ د. إسماعيل بن صالح الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، مكتب الإفتاء، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٩٦.

فاعتمدها الذهبي فيما كتب عن التفسير عند الإباضية، وخير الدين الزركلي، وأحمد زكي، ومفتي القدس الشيخ أمين الحسيني، واشتهر بينهم برحابة صدره إذا نوقش، ورسوخ قدمه في مجال الشريعة وإخلاصه في عمله رغم كبر سنه[١].

وقد اكتسب أكثر هذه العلاقات عندما كان يعمل في دار الكتب المصرية التي كانت تعج بالعلماء والمثقفين ورجال الفكر والأدب، وكانت له مع بعضهم مناقشات حامية حول العقيدة والفقه والتاريخ وقضايا اللغة وغيرها[٢]، وفي اعتقادي أن هذه الحوارات كان لها دورٌ كبيرٌ في إعطاء أبي إسحاق مكانة عالية في قلوب المصريين، ولما كان ما يخرجه من أعذب الكلام، فقد أزاح الكثير من المعلومات الخاطئة عن المذهب ورجاله، فظهرت سعة علمه وفقهه المتعدد في مختلف المذاهب، وقد كان بإمكانه أن يحصل على وظيفة سامية تضمن له العيش الكريم وتوفر له قدرا من الرخاء ورغد العيش، لو قبل الجنسية المصرية التي عرضت عليه[٣].

يقول الداعية الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب: هبط صديقنا الأستاذ العلامة الشيخ إبراهيم اطفيش وادي النيل مهاجرًا إليها من وطنه الجزائر من قبل أن يولد الفتح، واكتسبنا صداقته من السنة الأولى التي اتخذ فيها الوطن المصري وطنا ثانيا له، فكنا

---

(١) انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٢٥؛ والوقف الجربي، ص١٠٦.

(٢) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٣٠.

(٣) المرجع السابق، ٣١.

نحن وجميع أفاضل المصريين نعجب بصدقه وصلابة دينه واستعداده للمشاركة في كل خير، فما قامت لخير الإسلام جماعة من ذلك الحين، ولا أرسل المنادون إلى الفلاح صوتهم في أمر؛ إلا كان أبو إسحاق اطفيش في مقدمة المعينين على ذلك، ومقالاته المتعددة في هذه الصحيفة (الفتح) وفي أختها الزهراء؛ شاهد على فضله، ودليل على حسن بلائه في سبيل وحدة المسلمين، جزاه الله خيرا[١].

وكانت بين أبي إسحاق وعلماء مصر علاقة متينة وهدايا متبادلة، فالهدية لغة المحبة، ورمز الود، وجسر الروح، فلها أثر عميق في القلوب، يقول أبو إسحاق: «أهدى إلينا أحد أجلة العلماء، وكبير من جهابذة الأزهر رسالة مهمة من أحسن ما كتب في بعثة الرسب وطرق السعادة وحكمة إنزال الكتب، والحق أنها من أنفس ما خطته يراعة كاتب في هذه المواضع... وقد سلك المؤلف في منهج بحثه أسمى مسلك فلسفي، مجرد من التقليد، وأبدع في استنتاجه بما لا يطيق المنكرون تفنيده»[٢].

وجريدة المنهاج كانت ترصد ما يحدث في المجتمع، وتشارك المصريين في أخبارهم، فمثلا تذكر مقالا بعنوان: بعثة المصريين إلى مكة والمدينة[٣]، وفي مكان آخر تعلن المجلة عن

---

(١) المرجع السابق، ص٥.

(٢) إبراهيم اطفيش الجزائري، المنهاج، مكتبة الضامري، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١١٣.

(٣) المرجع السابق، ص٩١٤.

المحاضرات التي تقام في المساجد والجوامع التي تشرف عليها جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، وجمعية الهداية الإسلامية وحاضراتها[١]، وتشارك المجلة حزنها على وفاة سعد زغلول، فحبرت كلمات حزينة لفقده[٢]، وبين صفحاتها خلدت ذكر زيارة ملك مصر إلى أوربا، ووصفت استقباله هناك[٣]، وتسطر أيضا مقالًا بعنوان فاتح مصر وبطل أجنادين ـ عمرو بن العاص السهمي، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار في نادي الشبان بالقاهرة[٤]، ومما كتبه في المنهاج مقالًا بعنوان (خلاصة حكم هيئة كبار العلماء في قضية كتاب الإسلام وأصول الحكم)، وهو عبارة عن قرار نتج عن شيخ الأزهر بعد مناقشة هذا الكتاب لمؤلفه علي عبد الرازق أحد علماء الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة؛ حيث حكموا عليه بإخراجه من زمرة العلماء بإجماع أربعة وعشرين عالمًا[٥].

ويقول أبو إسحاق عن شوقي بعدما ذكر قصيدته في المنهاج؛ وهي قصيدة قالها شوقي قبل شهر من نشرها في مجلته؛ حيث ألقاها في احتفال الشبيبة الدمشقية به بعنوان: (لولا دمشق لما كانت طليطلة قدم لها) بقوله: «من ذا الذي لا يعرف من الأدباء

---

(١) المرجع السابق، ص٩٦٣ ـ ٩٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص٩٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص٨٤٠.

(٤) المرجع السابق، ص٩٥١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٥١ إلى ١٦٣.

شوقي بك، ومن الذي يجهل شعره منهم ومكانته في الشعر، وقد صار حقا حامل الراية وأمير الشعراء، والممتاز بدقته وجزالته وحسن سبكه وطلاوته»[١].

وأبو إسحاق كان من أكثر أعلام الإباضية احتكاكا بالسيد رشيد رضا، وأوسعهم علاقة به، وإذا كان السيد رشد رضا قد استكشف البيت الإباضي بمفتاح الشماخي؛ فإن أبا إسحاق كان رب البيت المضياف الذي بسط بين يدي ضيفه ذخائر الفكر الإباضي ونفائس مكنونه[٢].

وسأذكر نماذج من العلاقات المتينة التي جمعت أبا إسحاق بمحمد رشيد رضا.

١) أرسل محمد رشيد رضا كتابه (الوحي المحمدي) إلى أبي إسحاق، وسجل أبو إسحاق تقريظا سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ومما جاء فيه: «أجل كتاب في علوم القرآن، وأفخم سفر في جلال القرآن، ومعجزة من معجزات القرآن: كتاب الوحي المحمدي... إن الوحي المحمدي علم وفق الله إليه مؤلفه العلامة الجليل السيد رشيد رضا علم مستخرج من كتاب الله العزيز..»[٣].

وقد أثبت محمد رشيد رضا هذا التقريظ في مجلته المنار، وصدره بقوله: «بقلم الأستاذ العلامة المتكلم الفقيه الكاتب النظار

---

(١) المنهاج، ص١٨١.

(٢) قبسات من أنورار البدر الزاهر، ص٣٧٥.

(٣) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص٣٧٦ ـ ٣٧٧.

إبراهيم اطفيش الميزابي الجزائري»[١] هـذه الأوصاف دالة على عمق المعرفة، ورسـوخ التعارف بين الرجلين مـع جزيل الثناء والاعتراف بالفضل المتبادل بينهما.

٢) حبر محمد رشـيد رضا فـي مجلته المنار سـنة ١٣٤٤هـ تقاريظ لثلاث إصدرات، طبعها أبو إسحاق؛ وهي:

أ ـ التقريظ الأول: لكتاب (الدعاية إلى سبيل المؤمنين) مما جاء في تقريظه: «الأستاذ الشيخ أبو إسـحاق إبراهيم آل يوسف اطفيش الجزائري؛ من علماء المسلمين المعاصرين الذين يلقبهم المنار بحزب الإصلاح المعتدل، أي الذين يدعون إلى الجمع بين هداية الدين الحق اعتقادا وأدبا وعملا، وبيـن ما يتفق معها من مدينة العصر.... وإن كتاب الدعاية إلى سبيل المؤمنين هو أول أثر من آثار هذا الأستاذ الغيور في هذا الجهاد، أبرزته المطابع لنا بعد هجرته إلى مصر وإلقائه عصا السير فيها،.... وقد لخص صديقنا المؤلف مسائل تلك الرسالة...»[٢].

ب ـ التقريظ الثاني لكتاب (الذهـب الخالص المنوَّه بالعلم القالـص)[٣] بتحقيق أبي إسـحاق، وقال فيه: كتـاب في أصول الإيمان والإسـلام من العقائد والعبادات والآداب، من تصانيف أكبر علماء الإباضية وأشـهرهم في هذا العصر، الشيخ محمد بن

---

(١) المنار مج ٣٥ ص٥٨ العدد ربيع الأول ١٣٥٤هـ/ يوليو ١٩٣٥م.

(٢) المنار مج٢٦ ص٥٥٩ العدد بتاريخ جمادى الآخر ١٣٤٤هـ/ يناير ١٩٢٦م.

(٣) لمؤلفه قطب الأمة امحمد بن يوسف اطفيش الجزائري.

يوسف اطفيش الجزائري رحمه الله، وقد طبعه في العام الماضي وعلق عليه بعض الحواشي: تلميذه وحفيد أخيه الأستاذ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش؛ صاحب كتاب «الدعاية إلى سبيل المؤمنين»[١].

ج ـ التقريظ الثالث: لمجلة (المنهاج) التي يحررها أبو إسحاق؛ ونصه: «مجلة علمية أدبية إسلامية لمنشئها الأستاذ الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري نزيل مصر، وقد صدر منها جزآن حافلان بالمسائل الدينية والأدبية والتاريخية،... وإذا كان منشئ هذه المجلة من كبار علماء الإباضية وخليفة أشهر علمائهم في هذا العصر علما وبيتا؛ فالمرجو أن تكون مجلته من أسباب التأليف والوحدة بينهم وبين أهل السنة والشيعة»[٢].

٣) كتب أبو إسحاق تقريظًا لتفسير المنار ونشره في مجلته (المنهاج)، وبعض ما جاء فيه: «... وتفسير المنار من أسمى التفاسير وأوفرها ثروة،... وليس السيد مفسر المنار ممن يحشر ما هبَّ ودبَّ ويجمع ما يملأ الأوراق... ولكن لا يجوز لأحد من أهل العلم أن يشتد على مخالفه في النظر والمذهب،.... ونرجو الله أن يمد في عمر المفسر حتى يتم تفسير القرآن الكريم؛ الذي هو من أنشودة الأمة الإسلامية اليوم ومناها»[٣].

---

(١) المنار مج ٢٦ ص٦٤٠ العدد بتأريخ رجب ١٣٤٤هـ/ فبراير ١٩٢٦م.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤٠

(٣) المنار مج٣٢/ص١٠٩ ـ ١١١ العدد الصادر بتأريخ شوال ١٣٥٠هـ/ فبراير ١٩٣٢م.

ويقول السيد رشيد رضا معقبا عليه: «نشكر للأستاذ العلامة صاحب المنهاج تقريظه العلمي الاستقلالي، وكذا نقده المذهبي... أما شدتنا في الرد عليهم فهو دون شدة غلاتهم في الرد على أهل الإثبات وسلف الأمة، فهم قد يكفرون مخالفهم في صفة العلو ولو بطريق اللزوم، ونحن نخطئهم ولا نكفرهم، وسنتوخى اللين في ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ »[١].

ولك أن تتأمل أخي القارئ في الكلمات المتبادلة بينهم لتدرك عمق هذا التواصل النادر بينهم، وأجمل شهادة نختم بها صور التواصل بين أبي إسحاق ورشيد رضا، هذه الكلمات التي سطرها أبو إسحاق في رسالة لصديقه العزيز أبي اليقظان، عقب وفاة السيد محمد رشيد رضا، قال فيها: «وقد توفي بالأمس أعظم عالم بمصر؛ الشيخ رشيد رضا، وخسرت أكبر صديق يفهمني وأفهمه في الدين والسياسة الإسلامية، وكانت وفاته خسارة لا تعوض، فكم كان حزني شديدا»[٢].

ومن الأسباب التي ساعدت أبا إسحاق على الإندماج بين مخالفيه سعة صدره وتسامحه مع المخالفين، فقد «قام بتدريس شرح صحيح الربيع بن حبيب، ثم تلاه بتدريس فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢)، واستمر في تدريس هذا الكتاب لمدة خمسة عشر عاما، وألقى هذه

---

(١) المرجع السابق، ص١١١.

(٢) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص٣٨٥.

الدروس على الطلبة الإباضية تحديدا، وكذلك قام بشرح مغني اللبيب لابن هشام (ت: ٧٦١)، وشرح كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني (ت: ٤٧١)، وشرح كتاب النوادر المعروفة بكتاب الأمالي لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦)»[١].

هذه الصلة الوثيقة بين الإباضية وغيرهم لم تأت من فراغ، فهي مبنية على قاعدة مشهورة لديهم (المعرفة والتعارف والاعتراف)؛ «إذا بالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات، وبالاعتراف يتقبل كل واحد منهم مسلك الآخر برضا، ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه»[٢]، وقد آتت هذه القاعدة ثمارها في مصر، فمدت جسور المودة بين الإباضية وغيرها من المذاهب، فتحقق انسجام كبير بينهم، وذاب التعصب، فظهر تعاون مثمر بينهم[٣].

---

(١) الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص٩٣.

(٢) علي معمر، الإباضية بين الفرق الاسلامية، مقدمة المؤلف.

(٣) انظر: الوقف الجربي، ص١٦٦.

المبحث الرابع

دور الإباضية في التنمية الثقافية

مثلت الثقافة دورًا مهمًّا في بنـــاء الحضارات؛ لأن الثقافة لها دون شك تأثير في عملية التنمية في مختلف المجتمعات.

ومنظومة الفكر الإباضية تضم كنزا وفيرا من الثقافة والأدب، كانت نتاجًا للمشاعر والأحاسيس التي تدور في وجدانهم، وكما يقول سماحة الشيخ الخليلي: «وإذا كان الأدب مرآة تعكس ما في نفس الأديب من كوامن الأحاسيس؛ فإن الأدب الإباضي ـ قديمه وحديثه ـ طافح بعصارات مشـــاعر الألم الذي يحســـون به بسبب تشـــتت الأمة وانحلال عقد نظامها»[١]، والنتاج من الأدب والفكر العظيم الذي تضمه ســـطورهم وأقلامهم مستمد من العناصر التي كونت الأدب لديهم، فلديهم: «عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث، وتحمس شـــديد لها تهون بجانبه الأرواح والأموال، وصراحة في القول العمل لا تخشى بأســـا، ولا ترهب أحدًا، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير إلا كأحدهم، ولا العظيم إلا خادمهم[٢].

---

(١) الخليلي، الحق الدامغ، ص١٩.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢٥هـ، ج٣، ص٢٤٤.

هـذه العوامل هي من كانـت توجه الإباضية فـي مصر منذ عهدهم الأول في شـتى المجالات، ومنها مجال التأليف، فأقدم مؤلف كتبه الإباضيون في شـمال إفريقيـا[١] كان في مصر، وهو (كتـاب التوحيد) لمؤلفه عيسـى بن علقمة، وهـو من متكلمي الإباضية في مصر في القرن الثاني[٢].

وظل الإباضية يمارسون نشـاطهم الثقافي عبر مسيرتهم في مصر من خلال حلق العلم التي يقوم بهـا العلماء، ومحاورة من حولهم كما ذكرنـا ذلك فـي الأوراق المنصرمة، ونشـر كتبهم وأفكارهم بين المجتمع.

ومن المعالـم الثقافية للإباضية في مصر الـوكالات[٣] التي قامت بدور بـارز في الحركـة العلمية، وأصبحت مقـرًّا للتَّعلم والتعليم ومأوى للطلاب «ومن وكالات مصر: وكالة الجاموس، أو وكالة المغاربة، أو وكالة البحار، أو وكالة طولون، وكلها تسميات

---

(١) أم تش كاسـترس ـ بيلوغرافيا الإباضية، وزارة الأوقاف والشـؤون الدينية ـ سلطنة عُمان، ط١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م، ج١ ص٦١.

(٢) انظر: الشماخي، السير، ج١ ص١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجـب، الإباضية في مصـر والمغرب، ص٨٤؛ وطلقـات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشـار الإباضية، ص١٤.

(٣) الوكالة: مصطلح مرادف في معناه للفندق أو الخان، شاع استعماله في مصر خاصة للمـكان الذي يكون مأوى للتجار المسـافرين ومخزنـا لبضاعتهم. الشيباني، عمرو النامي، ص٧٦.

لدار قرب جامع أحمد بن طولـــون[١] بالقاهرة، وكانت مســـكنا للإباضية المغاربة (الجربييـــن منهم خاصة)، الوافدين إلى مصر، ومخزنا لسلعهم وتعدَّت دورها التجاري إلى دور ثقافي بارز، إذ أصبحت مأوى لطلبة العلم ومقرا للكتب الموقوفة عليهم»[٢].

ومن أبرز الوكالات التي قامت بدور ملموس في خدمة الثقافة الإباضية وكالة الجاموس، التي قام بتأسيسها الحاج عبد العزيز بن منصور بن عبد العزيـــز البحار، وهو من أوائـــل التجار الإباضية المتجهين من جزيرة جربة إلى القاهرة، واستقروا مع عائلاتهم في محيط طولون، فكانت تعرف في عهده بوكالة البحار، ثم اشتهرت بوكالة الجاموس[٣][٤].

وقد تعاقب علـــى الوكالة عدد من العلماء منذ نشـــأتها أثروا الحياة العلمية والثقافية في مصر، منهم الشيخ محمد بن عمر بن أبي ستة القصبي السدويكشي المشـــهور بالمحشي الذي استقر بالوكالة طالبا ثم مدرسا وذاع صيته بمصر؛ حيث إنه قلما قرأ كتابا

---

(١) جامع أحمد بن طولون: هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر، قال ابن عبد ظاهر: وهو مكان مشـــهور بإجابة الدعاء وابتدأ في بنـــاء هذا الجامع الأمير أبو العباس بن طولون. السيوطي، حسن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، ص١٩١.

(٢) تعليق الشيباني على كتاب اللمعة المرضية، ص٥٧.

(٣) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص٥٠ ـ ٥٢.

(٤) لمعرفة دورها بشـــكل أكثر راجع كتاب الوقف الجربي في مصر للأســـتاذ أحمد بن مهني بن سعيد مصلح.

إلا وكتب عليه ما تيسر من التعليق[١]، ويذكر أنه تولى رئاسة البعثة العلمية بمصر[٢]، وغيره من العلماء ذكرت بعضهم في الفصل الأول مطلب طالب العلم.

وتضم هذه الوكالة عددًا من الكتب ساعدت في تكوين علماء ومفكرين، هذه الكتب أكثرها من تأليف الإباضية، وبعضها من غيرهم، وقد اطلعت على فهرسة المخطوطات الموجودة في مكتبة الشيخ أحمد الخليلي التي تضم جزءًا كبيرًا من المخطوطات التي كانت في مصر لمالكها الشيخ أبي إسحاق، أغلب هذه المخطوطات كتب عليها (وقف لله تعالى على طلبة العلم بوكالة الجاموس)، وبعضها كتب عليها (وقف الحاج محمد البحار على طلبة العلم)، وبعضها (ويقبض هذا الكتاب أصحابنا الحجاج في مكة ليقيضوا أصحابنا بمصر)، ويبدو أن مرسل هذا الكتاب من عُمان كما يتبين من اسمه، لا شك أن هذه المكتبة كانت رافدًا قويًا من روافد الثقافة في مصر بالنسبة للإباضية وغيرهم[٣].

ولقد أسهم إباضية مصر في إغناء الحياة الثقافية في مصر من

---

(١) أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص٥٩.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٣؛ أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص١٣٣.

(٣) راجع مذكرة بخط اليد بعنوان (فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ أحمد الخليلي) في مكتبة الشيخ حمود بن حميد الصوافي، سناو ـ المضيبي ـ سلطنة عُمان.

خلال تأسيس مطابع وجرائد ومجلات تنشر بين أطياف المصريين متضمنة مقالات فكرية وثقافية تعالج الكثير من القضايا والتساؤلات التي تحيط بالمجتمع المصري، وممن لهم دور بارز في هذا المجال:

١) قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان الشماخي (ت: ق١٤هـ/٢٠م)، شارك في توعية الجالية الإباضية بمصر من خلال كتاباته في مجلته (نبراس المشارقة والمغاربة)[١]، وهي مجلة فكرية علمية تصدر ثلاث مرات شهريا، وتطبع بمطبعة المنارة بالقاهرة، وذلك بالتعاون مع صديقه مصطفى إسماعيل المصري؛ حيث كان سببا في اعتناقه المذهب الإباضي، وكان مقررا لها أن توزع في إسطنبول وسائر الإمارات العثمانية، والدول العربية، مع زنجبار والهند وأوروبا، كان عددها الأول في ١٧ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ/ ٣ يوليو ١٩٠٤م، ثم واجهت مضايقات ومشكلات، وكان آخر صدور لها في محرم ١٣٢٤هـ/ فبراير ١٩٠٦م، وقد اطلع عليها نور الدين السالمي وأثنى عليها، وهو ممن ساند الإمام محمد عبده في حركته الفكرية[٢].

---

(١) خرج الكتاب مطبوعًا عام ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م، الناشرون جامعة نزوى ـ مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية ـ مركز ذاكرة عُمان، مسقط ـ سلطنة عُمان.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٤ ص٧٢١؛ والشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٧١، ١٧٢؛ ومصلح، الوقف الجربي، ص٦٤.

هو وصديقه مصطفى إسماعيل المصري يكوِّنان ثنائيا مندفعا في كفاح الأباطيل والخرفات والبدع بقوة وعزم، فكانت لهما مقالات رنانة متآزرة في الصحف، وكتب متآخية في نصرة الحق، من غير المحاضرات والمناقشات التي كانا يقومان بها في النوادي والمجتمعات[١].

قال عنه الشيخ علي يحيى معمر: «وكان من العمالقة الذين أنجبتهم يفرن في أواخر العصر التركي: العلامة قاسم بن سعيد الشماخي، نزيل مصر، وقد كون هذا العلامة رجة في مصر شغلت أرباب الفكر والعلم والأدب ردحا من الزمن»[٢].

٢) الشيخ محمد بن يوسف الباروني، سافر لطلب العلم بالأزهر، ثم تصدى للتدريس بالوكالة، وهو مؤسس المطبعة البارونية بمعية سليمان بن مسعود المجدلي، وعاشا بمصر، وقد نشرت المكتبة عددا من كنوز التراث الإباضي، وامتد نشاطها لعدة سنوات، فقد وفرت مصادر الإباضية في البيئة المصرية، ومن الكتب التي تم طباعتها فيها كتاب الإيضاح وحاشيته[٣].

٣) الشيخ سليمان باشا الباروني هو الذي أسَّس بمصر مطبعة

---

(١) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٦١.

(٢) معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص٤٢٦.

(٣) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٤ ص٨٣٢، ٨٣٣؛ ومصلح، الوقف الجربي، ص٦٥، ١٠٣، ١٤٩.

الأزهار البارونية سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م[١]، وكان لهذه المطبعة دورٌ ثقافيٌّ لا ينكره جاحد، فقد قامت بطباعة العديد من الكتب الثمينة، وهي ديوان السيف النقاد، وكتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة، وكتاب الأمالي والذيل والنوادر للبغدادي، وحاشية الإمام السالمي على مسند الإمام الربيع، وديوان القلائد الدرية للشيخ التندميرتي[٢]، وأصدر الباروني صحيفته «الأسد الإسلامي» التي بث فيها آراءه، وسعى إلى إعطاء صورة للإباضية أكثر وضوحا في المجتمع المصري[٣]، وكان يطبعها في مطبعة الأزهار البارونية، وقد صدر منها ثلاثة أعداد[٤]، وقد تأسست عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، فنالها ما نال الجرائد الوطنية الحرة من الإرهاق والتضييق والتعطيل[٥].

وأما جريدة الأسد التي كانت مظهرا من مظاهر سياسته وطموحه إلى المعالي والعوالي[٦]؛ ظل يواصل إصدارها وإدارة

---

(١) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني ـ في المهجر، تخرج في كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص٤٦؛ ومصلح، الوقف الجربي، ص٦٥.

(٢) سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، ص٢٧؛ ومحمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني ـ في المهجر، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص٤٦؛ ومصلح، الوقف الجربي، ص١٠٣.

(٣) النامي، دراسات عن الإباضية، ص٣٨.

(٤) يوسف بن يعقوب المعولي، سليمان باشا الباروني وآراؤه في الإصلاح السياسي والفكري، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦م، ص١٨١.

(٥) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج٣ ص٤٢٩.

(٦) سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، ط١: ٢٠٠٥م، ص١١

سياستها بتوجيه حسن ودقة ومهارة بالغة حتى امتدت أصابع النفوذ العثماني إليها فأمرت بمصادرة أعدادها، وإيقاف صدورها[١].

يقول محمد إبراهيم لطفي المصري عنه: «لقد كان سليمان الباروني أمة مجتمعة في جسد واحد، وقوة عظيمة أوجدها الله وهيأها للزعامة في أمة كانت أحوج ما تكون إلى مثله[٢]»، أتى هذا الجهد كله بعد أن اضطر لإغماد السيف؛ أصبح من واجبه إشهار القلم.

٤) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش من الشخصيات المؤثرة في الحياة الفكرية الثقافية في مصر، اتسع نطاق تأثيره على مختلف الأطياف، فقد واصل النشاطات التي بدأها الباروني في مصر[٣]، كان يدرك تمام الإدراك أن وجوده في القاهرة ذو فائدة عظيمة، فيتحمل في سبيل بقائه بها ضنك العيش، وثقل المسؤولية، ووجوده أفاد القضية الجزائرية إفادة كبرى، فقد كان يقف للمؤامرات الاستعمارية بالمرصاد كشفا وفضحا، لا يكتفي بما يكتبه هو بقلمه؛ بل كان يستنهض أشهر الأقلام المصرية؛ أمثال: أحمد زكي باشا، وعبد الرحمن الرافعي، والشيخ رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومحمد طاهر[٤].

---

(١) الباروني، الأزهار الرياضية، ص١٠.

(٢) الباروني، الأزهار الرياضية، ص٢١.

(٣) النامي، دراسات عن الإباضية، ص٣٨.

(٤) انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٥٦.

كان أبو إسحاق مولعا بالصحافة بشكل غريب جدا، فيقول عنها إنها: «رسول السلام، ونذير امتشاق الحسام، ووسيلة التعارف بين الشعوب والحكومات، وأكبر عامل في النهضات العلمية والاقتصادية والسياسية وتجديد القوميات»[١]، ويقول عنها في إحدى رسائله: «لست أرى خيرا في أمة لا صحافة لها ولو أدبية، إن الصحافة هي سلاح الأمة، وقوة تعتز بها، ولسان يعبر عن كمالها، ومرشد لها إلى مناهج الحياة رغم الجمود وأهله»[٢].

ولذلك سعى أبو إسحاق لترجمة هذه الكلمات من خلال مقالاته في الجرائد التي كانت جريئة ونارية ووصفت بالسرطان؛ لأنه ما اتصل بجريدة إلا عطلتها الحكومة[٣].

وفوق ذلك قام بتأسيس «مجلة المنهاج»، فهي تعتبر من أبرز آثاره وتعد من أحد المجلات المهمة؛ لما كانت تمتاز به من روح إسلامية قوية صامدة في وجه أعداء الإسلام، فقد أصدرها بالقاهرة بعد سنتين من نفيه من طرف السلطات الاستعمارية، وهي بذلك تعد رد فعل قوي للتعسف الاستعماري[٤]، كان إصدارها بين سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٤م ـ ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م[٥].

---

(١) انظر: المنهاج، ج١ ص٢؛ ومحمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص١٢١.

(٢) انظر: من رسالة أبي إسحاق إلى صديقه أبي اليقظان. انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٣) الوقف الجربي، ص١٠٦.

(٤) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص١٢١.

(٥) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج١ ص٤٥.

مجلة المنهاج لاقت ترحيبا كبيرا من مختلف الأطياف من الإباضية أو غيرهم، فيقول سليمان باشا الباروني عندما تسَلَّم مجلة المنهاج بعد ثناء عذب للمجلة قال: «وما أدري أني تناولت لؤلؤة كانت مكنونة في صدف الصدور، أم خلاصة تبر من كنوز أفئدة بالحكم تفور، تناولتها والعين تذرف، والجوانح ترفرف، واللسان نشوان من خمرة الطرب... وإياك ثم إياك الشوق إلى التلاق؛ فالرجال ذو الثبات والعزم والصلابة والحزم، وما اللين والسبات إلا من نعوت بعض المخدرات.. ما غربت أبا إسحاق إلا لأنك الحر اللبيب، فاقبل ذلك بصدر رحب، ولا تقل: إني غريب؛ فإن الأرض كلها وطر للأحرار والمؤمنين، وأما رياض السماء فمسرح خاص لأرواح المخلصين، بيد أنك نزلت كنانة الله في أرضه (مصر) بين علماء وأقطاب عظام، فاسبح في أنهار معارفهم، واجنِ الجواهر النفيسة من لجج بحارهم، واقتبس من أنوار سياستهم النافعة، وتزود بما طاب من وطنيتهم الذائعة، إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا..»[1].

ويقول الشيخ علي سرور الزنكلزني من علماء الأزهر المرموقين: «ولقد سرَّنا أيها الأستاذ هذا النبأ العظيم، وكلنا على استعداد تام لاستقبال (منهاجكم) وخدمته وتقديره بقدر ما نعلمه فيك من فضل، من طول عشرتك وكثرة الحديث معك في الشؤون العلمية المختلفة، واستطلاع مؤلفاتك القيمة ومثابرتك على طلب

---

(١) أبو إسحاق، المنهاج، ج١ ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

العلا في غربتك القاسية، واحتمالك من الشدائد ما لا يحتمله إلا العظماء وأفذاذ الرجـــال، حتى أصبح جهادك في ســـبيل الله من صفاتك اللازمة ومميزاتك البارزة»[١]، كلمـــات تأكد قوة العلاقة الحميمة بينهم.

المتتبع لمجلة المنهـــاج يدرك أن مقالاتها تلامس الشـــعب المصري، وتعبر عما يدور في وجدانه، فبعض المقالات تجســـد قوة بلادهم، وأحيانا تذكرهم بعلمائهم، نجد بين ســـطور المجلة مقالًا بعنوان «تأريخ الشيخ محمد عبده» ومما ذكره أبو إسحاق: «الشـــيخ محمد عبده علامة مصر، وركن النهضة الشرقية في هذا العصر، وهو أشهر من نار على علم، جمع له العلامة السيد رشيد رضا منشـــآته القيمة في هذا الجزء، ففيها تتجلـــى مكانته حكيم الشـــرق...، وتبدو مقدراته الإصلاحية ودفاعه عن الدين، وغايته السامية التي حل بها في أعماق القلوب»[٢].

وكذلك بعض التقارير الموجـــودة فيها هي متابعة لما يجري على الساحة في مصر، ومنها مقال عن الأزهر الشريف، وهو عبارة عن مقدمة تعرفية عن الأزهر ومكانته، ثم أورد أســـئلة وأجوبة، «لا شـــك أن الأزهر اليوم أكبر جامعة بالعالم الإســـلامي أجمع، وليس في قطر من الأقطار الإســـلامية مسجد أو جامعة تضم بين جوانحهـــا بضعة آلاف عالم ســـوى الأزهـــر.... ولقـــد أتيح لنا

---

(١) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص٦.
(٢) أبو إسحاق، المنهاج، ج٢ ص٧٢٣.

الاجتماع بفضيلة شيخ الأزهر الجديد، فانتهزنا الفرصة لاستبانة رأيه في حال التعلم في الأزهر، وما ينويه أن يحدثه فيه...»[١].

ولكن هذه المجلة لم يكتب لها فرصة الحياة مدة من الزمن ،فقد توقفت بعد ست سنوات من إصدارها، فكتب أبو إسحاق عندما عطلت صحيفته رسالة إلى صديقه الذي يواسيه وهو أبو اليقظان، رسالة ممزوجة بالآلام العظيمة والكلمات الموجعة ومما قاله: «... واعلم أخي أن مصر اليوم تحت حكم الدكتاتورية، والصحف تضطرب أعصابها من جراء تعطيلها يوما، ولم تبق في مصر إلا التي تسبح بحمد الحكومة...»[٢]، فالمرء يكون ضعيفا في غير موطنه، وإن قيل له إنك في بلدك الثاني، وبين عشيرتك؛ إذ يظل ضيفا، عليه أن يتقيد بنظم تلك الدولة، فإن خالف نظامها سعى لإبعاده، وأمكن سحب وثيقة إقامته في أي وقت.

لم يقتصر دور أبي إسحاق في مجلته المنهاج فحسب؛ ففي شهر جوان من سنة ١٩٤٠م التحق بقسم التصحيح بدار الكتب المصرية، ومن المعروف أن هذا القسم لا يلتحق به إلا الراسخون في العلم، فهو يعتبر بحق مجمع فطاحل العلم والفكر والأدب، فحقق أبو إسحاق الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي منجزا منه عشرين جزءا، وصحح كتاب محمد فؤاد المعجم المفهرس

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٩٠٣ ـ ٩٠٤.

(٢) رسالة أبي إسحاق إلى صديقه أبي اليقظان. انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص٢٠١.

لألفاظ القرآن الكريم، كما شارك في تصحيح الطبعة الأخيرة من مصحف الملك[١].

عملُ أبي إسحاق بدار الكتب المصرية أكسبه علاقات وطيدة مع الكثير من العلماء، ومنهم السيد قطب الذي كان يزوره في دار الكتب المصرية، ومن آثار هذه الجلسات والمحاورات معه؛ كتب السيد قطب مقالا رائعا يصحح الرؤية إلى الخوارج في مقال معمق بعنوان (أدب الخوارج) نشره في مجلة الشهاب المصرية عام ١٣٦٧هـ، ومن كلماته: «ومن علمائهم الأجلاء صديقنا الشيخ إبراهيم اطفيش، ولهم كتب متداولة وهم ينكرون على غيرهم أن يطلق عليهم اسم الخوارج... وهو اعتراض له وجاهته، ولقد كانت لهذه التسمية ما يبررها في الماضي، فما أحوجنا أن نتناسها اليوم»[٢].

وقد ألف الشيخ عددًا من الكتب التي كانت تطبع وتوزع في مصر، ومما كتبه بحث عن الفرق بين الإباضية والخوارج، وكان هذا البحث بطلب من الشيخ إبراهيم محمد الباقي من علماء الأزهر ونشره في كتابه «الدين والعلم الحديث»؛ حيث يقول المؤلف في كتابه: ولما كان الوقت شحيحا يضن علي بالبحث عنهم ـ أي الإباضية والخوارج ـ والتنقيب؛ اتصلت بمن له خبرة

---

(١) انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٢٤.

(٢) انظر: مجلة الشهاب المصرية ١١ مارس ١٩٤٨هـ، ص٦٣، نقلته من/ انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٥٢.

بهم، وهو زعيم طائفة منهم تسمى الإباضية، هذا الزعيم يسمى أبا إسحاق إبراهيم اطفيش، موظفًا بدار الكتب المصرية فكفاني مؤونة البحث[١].

كان لوجود الشيخ أبي إسحاق في مصر أثر طيب وملموس في خدمة الجانب الثقافي في مصر.

وموجز القول أن الوجود الإباضي في مصر ساعد في التنمية الثقافية من خلال عدد من الأنشطة؛ أبرزها وكالة الجاموس والمجلات: نبراس المشارقة والمغاربة، الأسد الإسلامي، ومجلة المنهاج، وكذلك من خلال المطابع: المطبعة البارونية، ومطبعة الأزهار البارونية، وغيرها من الأنشطة التي كان لها دور فعَّال في خدمة الجانب الثقافي.

(١) انظر: السيابي، التواصل الإباضي، ص١٣٩ ـ ١٤٢

المبحث الخامس

دور الإباضية في التنمية الاقتصادية[١]

تحدثت في الفصل السابق عن أسباب انتشار الإباضية في مصر، وذكرت أنَّ من أهم الأسباب التجارة بين المشرق والمغرب بحكم موقع مصر المتميز، ففي القرن الثاني ظهرت الدولة الرستمية التي لها أبعادها ومساحتها وعلاقتها مع الدولة التي تجاورها؛ وخاصة مصر، فقد بلغت من الحضارة ما بلغته من انسجام وتآلف بين كل الأطياف التي تسكن فيها، فهذه الدولة بالتأكيد لها علاقة مع تجار إباضية مصر، وخاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم ١٧١هـ ـ ٢٠٨هـ) ـ ثاني الأئمة الرستميين ـ ، كان تاجرا بارعا، بلغت الدولة في عهده شأوا بعيدا في الحضارة، أقام علاقات تجارية وطيدة مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومع إباضية المشرق، وله تأثير كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، فقد

---

(١) لم تسعفنا المصادر القديمة عن دور الإباضية الأوائل في مجال التجارة، ولكن بالتأكيد أنهم انخرطوا في مجال التجارة؛ لأنهم لم يشتغلوا بالمناصب السياسية، فتوجهوا إلى التجارة لتكون لهم مصدر رزق.

اتسعت دولته إلى حدود مصر شرقا...[١]، وكانت مصر على اتصال وثيق ببلاد المغرب عبر الصحراء الليبية التي تشكل معبرا لتجار عُمان الراجعين من فزان والسودان وإباضية المغرب[٢].

أما في القرون المتأخرة فنرى أنهم أسهموا في الحياة الاقتصادية في مصر بشكل كبير، ففي بداية القرن الثاني عشر كان من أبرز التجار الحاج أحمد بن سعيد الجملي الذي استقر بسوق طولون وتاجر في اللبن، ففتح الله عليه فحقق أرباحا حتى بلغ رتبة فخر التجار، عقد صفقات ضخمة، فتضخم رأس ماله، وذاعت شهرته في التجارة[٣].

وفي الفترة ١٢٠٠ ـ ١٢٥٠هـ كان من أهم تجار الإباضية في مصر الحاج محمد بن رمضان البحار الذي مارس التجارة بين القاهرة والإسكندرية[٤].

مارس الجربيون في وكالتهم بيع وشراء جلود الجاموس[٥]، ولذلك اشتهر محل إقامتهم بوكالة الجاموس، إضافة إلى بيع اللبن والأقمشة وزيت الزيتون والعقار والغلال وتجارة النسخ[٦]،

---

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣.

(٢) صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٦؛ نقلا عن القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ص ٥٣، ط ١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس.

(٣) أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص ٥٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٣.

(٥) وكالة الجاموس كان لها أثر عميق في التنيمة الاقتصادية، فقد كان مبنى الوكالة يضم مدرسة ومكتبة ومأوى ودكاكين تجارية.

(٦) أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ١١٤ ـ ١٢٦.

ومن أشهر تجار البن الجربيين في مصر أحمد بن سعيد الجملي[١]، كما تاجر إباضية مصر في الأقمشة الهندية الحريرية والصوفية والملابس القطنية، واشتهر منهم الخواجا محمد بن صالح المغربي الجربي، والحاج أحمد بن يحيى الشهير بالشرواني الجربي المتاجر بسوق طالون، والتاجر الخواجا الحاج مهني بن سعيد المغربي الجربي[٢]، كما دخل إباضية مصر من الجربيين في مجال مربح وهي تجارة العقارات، «ولا يكاد يخلو شارع أو درب أو عطفة أو وكالة أو سوق من عقار مغربي»[٣].

ومن خلال دراسة وثائق المغاربة في مصر ـ سواء بالقاهرة أم الإسكندرية ـ يظهر للمتفحص ضخامة رأس المال الذي يتعاملون به بيعا وشراء، فقد خلدت الوثائق أسماء بيوت تجارية مغربية كبيرة وألقاب فئة كبار التجار وأعيانهم وأكدت نفوذهم الواسع في العديد من أسواق مصر[٤]، وخاصة سوق طولون الذي كان يعج بنشاطهم، فقد نشطوا التجارة الداخلية، وزادوا من حيويتها، فساعد على التنمية الاقتصادية في مصر.

---

(١) السابق، ص١١٤.

(٢) عبد الوهاب بكر، ملاحظات على الحياة الاقتصادية في ولاية مصر من خلال القرنيين ١٨ و١٩ ص٣٠٠؛ نقلا عن أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص١١٦.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغتربة في مصر، ص٦٩، نقلاً عن أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص١١٩.

(٤) أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص١١٧.

التواصل بين مصر والإباضية

المبحث الأول: التواصل المصري مع إباضية المشرق.

المبحث الثاني: التواصل الإباضي المصري المغربي.

المبحث الثالث: الإباضية ومصر في الوقت الحاضر.

تمهيد

إن التلاحم بين الجماعة الواحدة من الأمور الضرورية في حياة بني البشر، فبهما تقوى العلاقات، وتساعد نفسها على الاستمرار والدوام، وتبعد نفسها عن التفرق والتشتت، ولقد كان هذا هو شأن أهل الحق والاستقامة في أغلب عصورهم، فقد كانوا يدا واحدة يجمعهم المبدأ والإيمان الصادق، مهما بعدت بينهم المسافات وقد كانت صفوفهم تحتوي على قبائل مختلفة، وأجناسٍ متباينة، ولكنها كانت أبعد الناس عن الفرقة والتعصب، فأهل المغرب يتواصلون مع أصحابهم من الشرق، وكذلك أهل المشرق فإنهم يتواصلون مع أصحابهم من المغرب.

وسواء كان ذلك التواصل زيارات ولقاءات أو مراسلات، ولا شك أن الهدف من كل ذلك هو تبادل الأفكار، ومناقشة الأحوال واستبانة الأحكام وتبيينها إفتاء وإجابات، كما أن تبادل المؤلفات فيما بينهم كان من أهم الأشياء التي تجعل العلاقة المذهبية قوية؛ لأن أتباع المذاهب الأخرى وأصحابها انحاز كل إلى مذهبه تمسكا به، أو دفاعا عنه، أو نشرا له[1]، ولقد بذل أسلاف الإباضية

---

(١) السيابي، التواصل الإباضي، ص٦.

الشيء الكثير في سبيل التواصل فيما بينهم شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، متخذين من موسم الحج فرصة للقاء الأكبر والاجتماع لتبادل وجهات النظر فيما يهمهم ويعنيهم، وكم من قضايا نوقشت، وإشكالات حلت في موسم الحج[١].

ولقد كان التواصل حاضرا بين الإباضية من مختلف الأمصار وإباضية مصر من خلال الطرق التي ذكرتها سابقا، وساعد هذا التواصل على انتشار المذهب الإباضي بين المصريين؛ حتى أصبح له علماؤه ورجاله العديدون الذين وثقوا الصلة بين إباضية المشرق والمغرب، وكانوا همزة وصل بين الفريقين[٢].

ولم يقتصر هذا التواصل والتلاحم بين الإباضية ومصر على الإباضية في مصر، بل تعدَّى ليشمل مختلف الشخصيات، «فالإباضية لم يجدوا غضاضة في الإفادة من أهل العلم أيا كان مذهبهم، فالحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها أخذها، ولكن لا يعني هذا التأثير والاستيراد دون التصدير والذوبان دون حفظ الخصوصية، فالمقصود التفاعل لا الاندماج[٣]».

ونجد هذا التواصل من الجانبين منذ القدم، فقد قام الإمام زكريا الأنصاري الأزهري (ت: ٩٢٦) في كتابه «المقصد في تخليص ما في المرشد في الوقف والابتداء»، وهو اختصار لكتاب

---

(١) المرجع السابق، ص٦.

(٢) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص٢٦٧.

(٣) الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص٩٥ ـ ٩٦.

عُماني وهو «المرشد في الوقف والابتداء» للإمام أبي محمد الحسن بن علي العُماني (ت: ٤٣٠)، وهنا تكمن العلاقة العلمية الحميمة بين عُمان ومصر مع ما بين العالمين من بعد الشقة المكانية والزمنية[١].

وقد كانت هناك مراسلات علمية بين الإمام محمد عبده والعلامة نور الدين السالمي[٢]، وقد ذكر الإمام السالمي في أحد أجوبته رأي الشيخ محمد رشيد رضا بعدما قرأ قوله من مجلة المنار عندما قال: «ذكره صاحب المنار، وهي جريدة مصرية مديرها أحد تلامذة محمد عبده وهو محمد رشيد رضا»[٣]، لك أن تنظر أخي القارئ هذه الصلة القوية في التواصل رغم ما في ذلك الزمن من صعوبة التواصل.

ويظهر من خلال العبارة التالية التواصل والانسجام بين علماء الإباضية وعلماء القوم بمصر، كل منهم يستفيد من الآخر؛ حيث ذكر الإمام السالمي في كتابه معارج الآمال: «وقال أبو ستة رَحِمَهُ اللَّهُ: وسألت عن هذا الحديث جماعة من مشايخ قومنا فلم أجد عندهم جوبا شافيا»[٤]، فأبو ستة من علماء الإباضية في مصر سأل عن

---

(١) من ندوة «العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» ورقة قدمها الدكتور عبد الله بن سالم الهنائي (مقطع مرئي الندوة).

(٢) انظر: محمد كمال، مائة كتاب إباضي، ج١ ص١٢.

(٣) السالمي، جوابات الإمام السالمي، ج٢ ص٥٤٠.

(٤) انظر: عبد الله بن حميد السالمي، معارج الآمال، مكتبة السالمي، ٢٠١٠م، ج٣ ص٢١.

هذا الحديث علماء مصر من القوم واستفاد منه الإمام السالمي في عُمان.

أما السيد محمد رشيد رضا فقد ارتبط بجملة من العلماء والسياسيين والمفكرين من الإباضية[١]، منهم: قاسم بن سعيد الشماخي، مصطفى بن إسماعيل المصري، سليمان باشا الباروني، أبو إسحاق إطفيش، أبو اليقظان إبراهيم، سليمان بن قاسم الجادوي، فيصل بن تركي، تيمور بن فيصل، يوسف الزاوي، الزبير بن علي، والإمام محمد بن عبدالله الخليلي[٢] علاقة قوية وطيدة ربطت بينهم، فولدت الحب والإخاء والاتفاق في بعض الأفكار والآراء.

والشيخ محمد الدهان (١٣٣٥هـ/١٩١٧م) فقيه مصري من علماء الأزهر، كان مديرا للمعهد الإسلامي بزنجبار، وله مقالات في صحيفتي النهضة والفلق، ومن أعماله في التراث العُماني إشرافه على تصحيح كتاب «العقد الثمين نماذج من فتاوى نور الدين» لأبي محمد عبدالله بن حميد السالمي، وللشيخ الدهان لقاءات متعددة مع عدد من الأعلام العُمانيين في القاهرة، تبادلوا فيها وجهات النظر حول قضايا الفكر الإسلامي وسبل نشر التراث بشتى توجهاته الفكرية[٣].

---

(١) لمعرفة العلاقة الحميمة التي جمعت بين الإباضية ومحمد رشيد رضا؛ راجع: الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص٣٥٥ ـ ٤٠٩.

(٢) انظر: الشيباني، أنوار من قبسات البدر الزاهر، ص٤٠١.

(٣) انظر: سلطان الشيباني، الشيخ محمد الدهان، ص١.

وقد فتحت الحياة الثقافية في مصر أبوابها لظهور المؤلفات الإباضية إلى عالم النشر، بل وأصبحت هناك مطابع خاصة؛ مثل: المطبعة البارونية، ومجلات خاصة؛ مثل: «مجلة المنهاج»، وازدانت الحياة الفقهية بظهور مؤلفات كثيرة إباضية؛ مثل: النيل للثميني، وشرح النيل لاطفيش، وشرح طلعة الشمس للسالمي، وغير ذلك من الكتب والأبحاث والمقالات[1].

وسأذكر في الصفحات القادمة بعض صور التواصل التي جمعت بين إباضية مصر وإباضية المشرق والمغرب، فقد كانوا همزة وصل بين الفريقين.

(١) أ. د. محمد كمال، مائة كتاب إباضي، ج ٢ ص ١٣.

المبحث الأول

التواصل المصري مع إباضية المشرق

من المعلوم أن الجسر الممتد بين مصر وعُمان ليس وليد حقبة قصيرة، بل هو جسر متين، فمنذ الألف الرابع قبل الميلاد كانت مصر على صلة بأرض الجنوب من عُمان بالتحديد ظفار، وكانت تسمى «بلاد بونت»؛ أي: بلاد أشجار اللبان، وكان التواصل من أجل بعض السلع؛ مثل: البخور واللبان والمعادن والصمغ والمر والتوابل، وكان البحر الأحمر هو الوسيط بينهم، وقد سجلت النصوص الفرعونية إحدى عشر رحلة تجارية بين البلدين[١]، وربما من أشهر الرحالات بينهما رحلة الملكة «حتشبسوت»، وسجلت هذه الرحلة في معبد الدبر البحري[٢].

وفي عصر الإسلام ظهر الإسهام العُماني في عمليات

---

(١) انظر: حفيظ بن عيسى الراجحي، عُمان منذ فجر التاريخ حتى الحاضر، المصنع الوطني للطباعة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٦؛ مسيرة الخير، وزارة الإعلام، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٤م، ص١٣٩؛ وندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص٧٢.

(٢) أحمد بن عبدالله العزيزي، تجارة عُمان الخارجية عبر العصور التاريخية، مركز الراية للنشر والإعلام، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٤١.

الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام بصورة جلية من خلال إسهام القبائل العُمانية في فتوحات فارس والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا، وجزر البحر المتوسط[١].

«وبعض العُمانيين رحلوا إلى مصر، ونشروا بين بعض أهلها المذهب الإباضي، واعتنقه عدد لا بأس به من المصريين، ووجد دعاة الإباضية في سكان مصر من الأزد قوة وسندا لنشاطهم المذهبي ولنشاطهم التجاري أيضا، مما دفع بالعلاقات المذهبية والتجارية بين البلدين إلى التطور والنماء إلى حد كبير، وهيأ في الوقت نفسه لمزيد من الهجرات العُمانية إلى مصر»[٢].

وقد رجع الدكتور رجب محمد عوامل هجرت العُمانيين إلى مصر إلى عاملين، وهما: الأول: وجود عدد من الولاة والقضاة ورجال الشرطة وعمال الخراج تولوا مصر[٣]، وكانوا من الأزد فمهدوا الطريق لأقربائهم كي يهاجروا إلى مصر، أما العامل الثاني: كان الأزد والمهرة مستقرين في الكثير من الأحياء السكنية المصرية مثل الفسطاط والجيزة والإسكندرية وغيرها مما رغم للعُمانين الهجرة إلى مصر المحروسة[٤].

---

(١) محمد قرقش، تأريخ الإسلام في إفريقيا، ص٤٠١.

(٢) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١٦٥.

(٣) لمعرفة المزيد من الأزد والمهرة الذين حكموا مصر حيث أنهم أخمدوا الفتن والثورات وعمروا البلاد، راجع: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١٧٦ ـ ٢٠٩.

(٤) انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص١٦٥ ـ ١٦٧.

وقد كان هناك تواصل كبير بين الإباضية في مصر والبصرة ـ مركز الإباضية ـ، ومنها عندما ذهب شعيب بن المعروف إلى البصرة في الرحلة الثانية لم يكن وحده، بل كان معه جملة علماء الإباضية من مصر الذين تعلموا على يد أبي عبيدة من قبل[١]، وقد ذكرت في الفصل الأول عددًا من علماء الإباضية الذين هاجروا إلى مصر.

وفي القرن التاسع للهجرة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) نجد أن الشيخ الحاج محمد بن عبد الله السمائلي ذهب إلى مصر[٢][٣] بالتأكيد أنه أفاد واستفاد من علماء الإباضية هناك.

وقد كان الإمام السالمي على علاقة وطيدة مع إباضية مصر، يقرأ ما كتبوه من مسائل وقضايا، فأحيانا ينقل في كتبه عن أبي ستة[٤].

وكانت للشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت: محرم ١٣٠٢هـ) مراسلات مع الإباضية من المشرق؛ أمثال: الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وقد ذكر رسائلهم الشيباني في كتابه[٥].

---

(١) بتصرف محمد رجب، الإباضية في مصر، ص١٤٩.

(٢) بتصرف: المرجع السابق، ص١٥٢.

(٣) أحمد الشماخي، كتاب السير، ج٢ ص٢٠٣.

(٤) انظر: السالمي، معارج الآمال، ج٣ ص٢١.

(٥) انظر: ذكر نص الرسالتين الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص١٧٩ ـ ١٨٨.

وكان الشيخ قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان الشماخي (ت: ١٣٣٤هـ/١٩١٦م)، يلعب حلقة وصل بين إباضية المشرق والمغرب، وكانت مجلته وكتبه ورسائله ومقالاته هي ناطقة باسمهم ومذهبهم، وله مراسلات مع الإباضية اقتدى بوالده، فنرى مراسلاته مع مشايخ المشرق الشيخين نور الدين السالمي وعيسى بن صالح الحارثي[١]، ومن زنجبار الشيخ سالم بن محمد الرواحي[٢].

وقد قرأت ردًّا من أبي إسحاق اطفيش على الإمام محمد بن عبد الله الخليلي كان يتضمن حث الشيخ أبي إسحاق العُمانيين على النهوض والوعي وعدم الانعزال؛ فإن التقوقع له آثاره، وبيَّن له كيفية الوصال إلى الجامعة العربية بصوت عُمان، وما يجب فعله حتى تنهض عُمان اقتصاديا وعلميا وفكريا، وهي رسالة تبين بعد النظر في مذهب أبي إسحاق[٣].

وللشيخ أبي إسحاق زيارتان لزنجبار؛ الأولى سنة ١٣٦٧هـ، والثانية سنة ١٣٧٥هـ، وقيل: ١٣٨٠هـ، وقد كان يلقي محاضرات في التفسير بمسجد السيد حمود[٤]، وكان أبو إسحاق على صلة

---

(١) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص٢٢١.

(٢) المرجع السابق، ص٢٢٢.

(٣) أنظر الرسالة بتاريخ شعبان ١٣٧٣هـ موجودة في: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص١٩٦.

(٤) محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي، النمير حكايات وروايات، ط١: ١٤٣٤هـ، ج٦ ص٢١.

بالشـــيخ أحمد بن حمد الخليلي في زنجبـــار وأيضا بعدما رجع الشـــيخ إلى مصر كانت تجمع بينهم مراســـلات عميقة[١]، وأبو إســـحاق قام بدور بارز في القضيـــة العُمانية بالجامعـــة العربية، وعرف ســـفيرا لعُمان في القاهرة، وقد فصَّلت ذلك عند الحديث عن الدور السياسي.

(١) السيفي، النمير، ج ٦ ص ٢٢.

المبحث الثاني

التواصل الإباضي المصري المغربي

كان التواصل بين المغرب ومصر حاضرا في كل العصور بحكم انتمائهم إلى عرب الجنوب، وبحكم أن البلدين كانا يتبعان في الغالب واليًا واحدًا، وقد ساعد على ذلك وجود العديد من الطرق التي تمر بها التجارة بين البلدين، وكانت مصر تقوم بدور الوسيط التجاري بين المشرق والمغرب، فالتواصل بين مصر والمغرب كان مستمرًا منذ أن دخل الإسلام، حتى أنه كان يطلق على مصر في بعض الأحيان أنها إحدى دول المغرب[١].

وأما أصحابنا في المغرب فكانت علاقتهم بإباضية مصر قوية؛ لأن منزلة الإباضية في مصر العلمية رفعت من شأنهم، وأولتهم مناصب عالية في المجتمع الإباضي، فاشتهر أمرهم، وذاع صيتهم في الآفاق، ومكانتهم العلمية أهلتهم إلى الفتيا، ورفعت من قدرهم بين خلانهم، فقد روي أن أبا ميمون ذهب إلى مصر ليسأل ابن عباد عن مسألة[٢].

---

(١) انظر: رجب محمد، الإباضية في مصر والمغرب، ص٢٩.

(٢) انظر: الشماخي، السير، ج١ ص١١٢.

ولقد كان إباضية المغرب عندما تشكل عليهم مسألة يرجعون إلى علمائهم الكبار في عُمان أو البصرة أو مصر فمثلا «عندما أراد الإمـــام عبد الواهاب التوجه إلـــى الحجـــاز لأداء فريضة الحج، ووصل إلى نفوسة اعترضه أهلها خوفا عليه من بني العباس لكنه لم يقنعه رأي النفوسيين، فأرسل الفتوى إلى علماء المذهب في المشـــرق الإمام الربيع في البصرة أو عُمان وإلى عبد الله بن عباد في مصر، فأجاب عنـــه كلاهمـــا بأفضلية بقائه فـــي دولته وبين مواطنيه»[١].

ووصل صيت علمـــاء المصريين من الإباضيـــة إلى تيهرت عاصمة الدولة الرســـتمية، فكان أئمتها يرســـلون رسلهم وكتبهم يطلبون منهم الفتوى عندما كان ينشـــب بينهـــم خلاف فقهي أو سياســـي، ومن الإباضية المصريين المشهورين الذين وصلوا إلى درجة الفتيـــا، وكان لهم فـــي التاريـــخ الإباضـــي دور معروف شعيب بن المعروف، وكان لهذا العلم المصري مكانة كبيرة عند الإباضية؛ حتى أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم اســـتفتاه إلى جانب الربيع بن حبيب عندما ثار النزاع بينه وبين يزيد بـــن فندين الـــذي لم يعطه الإمـــام عبد الوهـــاب منصبا أو ولاية[٢].

---

(١) ابن سلام الإباضي، الإسلام وتأريخه من وجه نظر إباضية، دار اقرأ ـ بيروت، ١٩٨٥م، ص١٣١. انظر: السيابي، التواصل الإباضي، ص٣٤.

(٢) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص٩٨؛ نقلا الشماخي، ج١ ص٢٣٢.

ومن التواصل السياسي ما تذكره كتب التاريخ عن الاتهام الذي وجهه قاضي مصر إلى غوث بن سليمان الحضرمي بمكاتبة إمام الإباضية في المغرب الأدنى أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري الذي كان الوالي في مصر يزيد بن حاتم المهلبي، فوصل أمره إلى أبي جعفر المنصور فأمر بحبسه[١]، وكان حامل الرسالة ربيعة النفوسي؛ حيث يقول أنا: حملت كتاب أبي الخطاب الإباضي من إفريقية إلى غوث، وحملت كتاب غوث إلى الإباضية[٢].

وكذلك يذكر عمرو النامي أن أبا خزر يغلى بن زلتاف (ت: ٣٨٠هـ) الذي كان بمصر يرد على أسئلة موجهة إليه من بعض علماء الإباضية وقد جمعها في كتابه المعروف بكتاب أبي خزر يغلى بن زلتاف[٣]، كتاب كامل هو عبارة عن أسئلة موجهة إليه من الإباضية من مختلف الأمصار.

وكانت للشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت: محرم ١٣٠٢هـ) مراسلات مع الإباضية من المغرب؛ أمثال: الشيخ الفقيه إبراهيم بن بكير، وقد ذكر رسائلهم الشيباني في كتابه قبسات من أنوار البدر الزاهر[٤].

---

(١) انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج١ ص٢٦٨.

(٢) انظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، ص٣٦٢. انظر: أبو سعيد عبد الرحمن الصدفي، تاريخ ابن يونس الصديق، ج٢ ص١١٠.

(٣) النامي، دراسات عن الإباضية، ص٢٢١ ـ ٢٧٢.

(٤) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر. ص١٧٩ ـ ١٩١

المبحث الثالث

الإباضية ومصر في الوقت الحاضر

انتشـــر المذهب الإباضي في الزمان الأول في جميع الآفاق والنواحي من عُمان إلى البصرة وخراســـان ومصر وبلاد المغرب وغيرها من المناطق، ولما أراد الله تعالى أن ينفذ أمره في من شاء من الناس بسابقة القضاء؛ طوى هذا المذهب من كثير من البلاد بموت أهله وانقراض علمائه في تلك النواحي، وهذه هي سنة الله في أرضه، وبهذه السنة تســتمر الحياة، فذهب هذا المذهب من مكة والبصرة وخراســان واليمن وحضرمــوت، وبقي في عُمان والمغرب وزنجبار ومصر، ثم انتقص من أطرافها أيضا فلم يبق إلا في النواحي اليسيرة[١].

ويرى المــؤرخ أحمد من ســعود الســيابي أن تقلص الفكر الإباضي في العالم ـ لو إنسان استقرأ التاريخ الإباضي إلى القرن الرابع الهجري، وعمل خريطة بيانية لتوزع انتشار المذهب لوجده أكثر المذاهب انتشــارا، فهم كانوا في خراســان واليمن وعُمان

---

(١) السالمي، اللمعة المرضية، ص٨٥، ٦٤.

والبصرة ومصر وبلاد المغرب ـ هذا الانحسار يرجع إلى أمرين مهمين:

١) ضعف الاهتمام بالدعوة، فتخلف أتباع المذهب الإباضي عن مهمة الدعوة جعل هذا المذهب يتراجع شيئا فشيئا.

٢) فقد الأطر العلمية، فعندما يأتي العالم يجتهد ويُعلِّم ويُكوِّن مكتبة، ولكن بمجرد موته يموت كل شيء؛ حتى كتبه تتفرق وتوزع وتباع؛ لأنه لم يعمل تحت مظلة نظام مؤسسي، بعكس غيرهم[١].

بالإضافة إلى السببين اللذين ذكرهما الشيخ أحمد بن سعود السيابي من أسباب انحسار المذهب يمكن أن نضيف أيضا:

٣) عدم وجود دولة إباضية في مصر احتضنت المذهب الإباضي، فالدولة تقوم بدورٍ كبيرٍ في انتشار المذهب وانحساره.

٤) من ضمن منهج الإباضية جواز الخروج على الحاكم، هذا الأمر كان معهم في بعض الأحيان في مصر، وقاموا بثورة ضد الحاكم، فقتل بعضهم، وبالتأكيد فر بعضهم إلى مختلف المناطق.

٥) الفتوى التي يصدرها بعض المتشددين ضدهم واتهامهم بالخوارج؛ ضيقت عليهم ووضعتهم موضع الخطر ممن حولهم.

٦) استقرار الإباضية في مناطق معينة، وفقدان التواصل فيما بينهم.

---

(١) انظر: السيابي، الدعوة عند الإباضية، ص٣٩ ـ ٨٠.

٧) وكما هو معلوم أن من أسباب انتشار المذهب الإباضي في مصر هو الجهود التي قام بها التجار الإباضية، وعندما قلّت التجارة الإباضية في مصر قلّ انتشار الإباضية.

٨) ويكمن أن نضيف أيضا استعجالهم في إقامة الحق، فقد كلفهم قتلهم والتنكيل بهم، كما ذكرت في دورهم السياسي.

٩) التسامح حينما يكون معتدلًا يكون إيجابيا، أما عندما يكون زائدا عن حده يكون سلبيا، فعندما تنتهي النخوة والغيرة المذهبية سينتهي كل شيء مع مرور الوقت، فلا يمكن أن غيرك يضربك وأنت تقابله بالزهور، ودائما المعاملة بالمثل[١].

وبرحيل أبي إسحاق مات روح الإباضية في مصر، وبقي جسدا بلا روح، ويقول الراشدي: ولا يزال بعض الإباضية موجودين بمصر إلى اليوم[٢]، وإن كانوا حقا موجودين إلى الآن؛ فليس لهم وجود اجتماعي منظم، وإنما على شكل أفراد يتوزعون في مختلف الأماكن.

وبقي لنا أن نسلط الضوء إلى عصرنا الحاضر وعلاقة الإباضية بمصر ولا بد لنا أولا أن نذكر جامع الأزهر؛ لأن الأزهر له دور في الدعوة الإسلامية، فقد كان هو المقصد والقبلة العلمية لطلاب العلم كما قال الشيخ أحمد بن سعود السيابي: إن الأزهر هو المرجعية الإسلامية لجميع المسلمين من المحيط إلى الخليج

---

(١) السيابي، الدعوة عند الإباضية، ص٨١.

(٢) مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص٢٦٨.

منذ ألف عام تقريبا؛ من أجل ذلك قدم الأستاذ الدكتور محمد علي محمد ـ أستاذ التاريخ الحديث بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ـ ورقة عمل بعنوان «البعثات العُمانية إلى الأزهر» في ورقته ذكر جملة من المشايخ والقضاة والأساتذة الذين درسوا بجامعة الأزهر، وأصبحت لهم مناصب مرموقة في عُمان[١].

إن المذهب الإباضي يدرس في الأزهر؛ كظاهرة معرفية فقط، وقد ذكر الدكتور مسلم سالم في ورقته «تعد مناهج الأزهر فرقة من فرق الخوارج ضمن المقررات الدراسية»[٢]، لقد حركت هذه المعلومة ساكني، وقد سألتُ الأستاذ الدكتور محمد الزيني عن هذه المعلومة؛ فكان مما قاله: ربما كان هذا في السابق، أما الآن فإني أسوق لك أبشر البشائر فقد تم تغير الكثير من المعلومات عن المذهب الإباضي التي كانت تبنى على كتاب المقالات، فقد أبلى مدرسو المعهد الذين درسوا في عُمان سابقا ثم ذهبوا بلادهم مصر بلاء حسنا، فظهرت بصمتهم على دكاترة الأزهر والباحثين، فذكر لي جملة من الرسائل التي كتبها الدكاترة والمدرسين من مصر عن المذهب الإباضي، ومنها كتاب «الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة»[٣]؛ حيث فصل المؤلف الإباضية عن الخوارج[٤]، فقد

---

(١) انظر: مقطع مرئي بعنوان: «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة».

(٢) الوهيبي، الإباضية في منظومة الأزهر، ص٧.

(٣) لمؤلفه الدكتور عامر النجار أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة السويس.

(٤) مقابلة مع الأستاذ الدكتور محمد الزيني بمكتبه في كلية العلوم الشرعية يوم الإثنين بتأريخ ٢٠١٤/١٠/٢٠م.

أدرجت الإباضية ضمن الخوارج كما أدرجت جماعة الإخوان في فترة من الفترات؛ لأنها كانت غير موالية للسلطة، «فقد تميزت في مصر في عهد الستينيات بصعود النجم الناصري، فاعتنق ملايين الشباب فكر عبد الناصر، فانبرى الكتاب الموالون للسلطة على منطلقات جماعة الإخوان وعلى منهجها، وزج بزعمائها في السجون، وأدانوا هذا الفكر الإخواني، ونسبوه إلى الخوارج»[١].

ولتعزيز أوجه التواصل بين الإباضية ومصر قامت جامعة السلطان قابوس بإقامة ندوة بعنوان «العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة»، وكان هدف الندوة كما ذكرت صحيفة «الأهرام المصرية» ترسيخ التواصل الفكري بين سلطنة عُمان والأزهر الشريف، والتعريف بالقواسم المشتركة، وبيان دور علماء المدرستين في التأليف المقارن، وتسهم في توسيع آفاق التعاون بين عُمان والأزهر، وتعزز صلة التقارب والوئام، وستعمل على إبراز أواصر التقارب والاشتراك بين المدرستين العُمانية والأزهرية، وأيضا العلاقات التاريخية والفقهية والفكرية بينهما، من خلال الأوراق البحثية المقدمة للندوة[٢].

دعا الباحث الدكتور الوهيبي في الورقة التي قدمها بعنوان

---

(١) أ. د. محمد الزيني، شهداء الفكر، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٢) جريدة الأهرام، الكاتب: سمر نصر، ٢٠١٣/٤/١٣م رئيس التحرير أحمد السيد النجار.

«الإباضية في منظومة الأزهر» بتوصياته فيما يخص الأزهر، ومما قاله: نطمح أن تتحول نظرة قيادات الأزهر السليمة بخصوص الإباضية إلى واقع ملموس مع الدارسين والباحثين، وأن يتم تدريس المذهب الإباضي من خلال مؤلفاته، وليس من خلال ما قيل عنه، وأما ما يخص عُمان فالعمل على إيجاد كرسي للدراسات العُمانية في جامعة الأزهر، ومن مهامه توفير المساعدة في الوصول إلى معارف الإباضية بإشراف مباشر من مكتب الإفتاء[1].

وكان من ضمن التوصيات التي خرجت بها الندوة: «وأوصت ندوة العلماء العُمانيين والأزهريين والقواسم المشتركة التي أقامتها جامعة السلطان قابوس بقاعة المؤتمرات على مدى ثلاثة أيام متواصلة بتدريس المذهب الإباضي ضمن مناهج الأزهر الشريف؛ تأكيدًا للقواسم المشتركة بين المدرستين العُمانية والأزهرية، وإنشاء كرسي السلطان قابوس للدراسات العلمية بالأزهر الشريف أسوة بالكراسي التي تنتشر في دول مختلفة، وكذلك التأكيد على اعتباره من المذاهب الإسلامية التي تشكل الأمة الإسلامية الواحدة، وتوثيق الوجود الإباضي من قبل الأزهر الشريف من حيث المخطوطات والعلماء والمؤلفات الموجودة لديهم، وقيام مشيخة الأزهر بتوجيه القائمين على سائر القنوات المصرية ذات الخطاب الإسلامي المعتدل على مشاركة علماء عُمان في

---

(١) انظر: الوهيبي، الإباضية في منظومة الأزهر، ص ٣٣ ـ ٣٤.

الأحاديث والندوات والمحاضرات التي تبثها خدمة لقضايا الدين الإسلامي في عصر يموج بمختلف التيارات الفكرية»[١].

والجهود العميقة بين الطرف الإباضي والمصري ظاهرة كالشمس في رائعة النهار، فعلى سبيل المثال ما قام به الدكتور محمد كمال إمام ـ أستاذ الشريعة في كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية ـ فهو يشتغل الآن بإعداد موسوعة الفقه الإباضي، ومن الأعمال التي أنجزها فقد اعتنى بكتاب النيل، ومعارج الآمال، وجوابات الإمام السالمي، وكتاب الإيضاح، ومنهج الطالبين وبلاغ الراغبين، وقال الدكتور إسماعيل الأغبري: إن ذلك يدل على العيش المشترك والتجرد لخدمة تراث المسلمين دون تحيز أو تمييز.

كما قام الأستاذ الدكتور عبدالله مبروك النجار ـ عضو مجمع البحوث الإسلامية ـ بمراجعة كتاب جامع أبي الحسن البسيوي، وأشار إلى أن مصر كانت حاضنة، وأُمًّا رؤوفا بالعُمانيين عامة، وبأتباع المذهب الإباضي خاصة[٢].

وفي السنة الماضية كنت حاضرًا في قاعة الأنشطة الطلابية

---

(١) انظر: مقطع مرئي الندوة وجريدة اليوم السابع، الكاتب محمد سعد، ١٦ إبريل ٢٠١٤م.

(٢) من ندوة «العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» ورقة قدمها الدكتور إسماعيل بن صالح الأغبري (مقطع مرئي الندوة).

بكلية العلوم الشرعية[١]، فأضاف النشـــاط الطلابي فضيلة الشيخ الدكتور شـــوقي علام مفتي الديار المصرية الذي كان مدرسًا في الكلية مدة طويلة، فقـــد كان من ضمن كلامه أنـــه يرحب بطلبة الكلية للالتحاق بـــدورات تدريبية في مجـــال الفتوى، وبيَّن في معرض حديثه أنه يوجد طريقتان لهذه الفكرة؛ إما بالحضور إلى الدار، أو التعليم عن بُعد[٢].

(١) معهد العلوم الشرعية سابقا.

(٢) كان اللقاء بتأريخ ٢٠١٣/٤/٦م.

الخاتمة

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على أن يسر عليَّ الانتهاء من هذا البحث، فقد نبض حبري، وانحنى قلمي بعدما سطر أثمن المعلومات، فكونت فصولًا ومباحث ومطالب، وإن مما يبهج النفس ويشرح الصدر أن ترى البذور التي زرعتها قد أينعت ثمارها بعدما تعهدت عليها بالليل والنهار، ومن هذه الثمار والنتائج:

١) أن الوجود الإباضي في مصر كان منذ بداية القرن الثاني الهجري، وجود عدد من العلماء الإباضية في مصر من الذين درسوا مع أبي عبيدة في البصرة، فكوَّنوا مدرسة علمية.

٢) من أسباب انتشار المذهب الإباضي في مصر: التسامح الذي يتميزون به، وطبيعة مصر، والاستبداد الذي وقع ضدهم في مختلف المناطق، ووجود الأزد في مصر الذي أضفى عليهم حماية، وموسم الحج، وتجار الإباضية، والعلماء الموجودون في مصر من الإباضية والدعوة التي قاموا بها في مصر، وطلبة العلم من الإباضية الذين رحلوا إلى مصر.

٣) كان للإباضية في مصر تأثير في الجانب الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي والتجاري، ومن خلال الاختلاط والانسجام مع غيرهم، والحوارات الهادفة ونشر كتبهم الدينية في أرض مصر.

٤) لقد بذل أسلاف الإباضية الشيء الكثير في سبيل التواصل فيما بينهم ـ شرقا وغربا، جنوبا وشمالا ـ من خلال موسم الحج والرحلات والمراسلات وتبادل الهدايا، كان التواصل حاضرا بين الإباضية المصريين وإباضية البصرة وعُمان واليمن وشرق إفريقيا.

٥) انحسر المذهب الإباضي في مصر تدريجيا، ومن أهم أسباب الانحسار ضعف الدعوة، وفقد الأطر العلمية.

٦) كان المذهب الإباضي يدرس في الأزهر كظاهرة معرفية فقط، ولكن في الوقت الحالي هناك رؤية جديدة لتدريس المذهب الإباضي ضمن مناهج الأزهر الشريف؛ تأكيدًا للقواسم المشتركة بين المدرستين العُمانية والأزهرية، وإنشاء كرسي السلطان قابوس للدراسات العلمية بالأزهر الشريف.

وعلى هذا يتبين أن تاريخ الإباضية يحمل الكثير من الدروس والعبر؛ لذا يجب على أهله البحث والتنقيب عن مكنوناته ودرره من بطون الكتب ومن الواقع؛ لينجلي ما كان مستورا من الكنوز، وأن تأريخ إباضية مصر ينبغي أن يبحث بشكل أكثر عمقًا بالذهاب إلى مصر حيث الوثائق والمخطوطات في دار الكتب المصرية

التي تحمل الكم الهائل من كتب الإباضية، كما يظهر لنا من البحث، وكما أوصي بإقامة ندوة علمية تشمل الباحثين والدارسين، يدور محورها حول تأريخ إباضية مصر.

وأخيرًا من الأهمية بمكان العناية بذكر تأريخ الإباضية المصريين في الكتب الحديثة؛ ليكون طلبة العلم خاصة لديهم معرفة بتأريخ رجالاتهم الأبرار.

إن الحديث عن تأريخ المذهب الإباضي في مصر حديث ذو شجون، فعند الكتابة عنه يتدفق الخاطر بكل حديث عاطر، وتنسى النفس همومها، ويجيش الفؤاد بالحب والسمر، عندها يطير عقلك في ملكوت سيرتهم العطرة، ويقف العقل حيران في الكتابة عنهم؛ لما يملكون من رصيد فكري وتأريخي... وأخيرا

والله بالقَبول فيها يقضِي حتى أراها في غدٍ من قرضي
ومنهُ أَرجو أن يَعمَّ نفعها كل الورى وأن يتمَّ صُنعُهَا[1]

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

علي بن سالم بن علي الشلي

الخوير ـ العاصمة مسقط

ليلة الإثنين: ٢٨ صفر ١٤٣٦هـ/ ٢١ ديسمبر ٢٠١٤م

---

(١) محمد بن عبد الله السالمي، بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، مكتبة الاستقامة، ط ٣: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ٣.

ملحق الخرائط

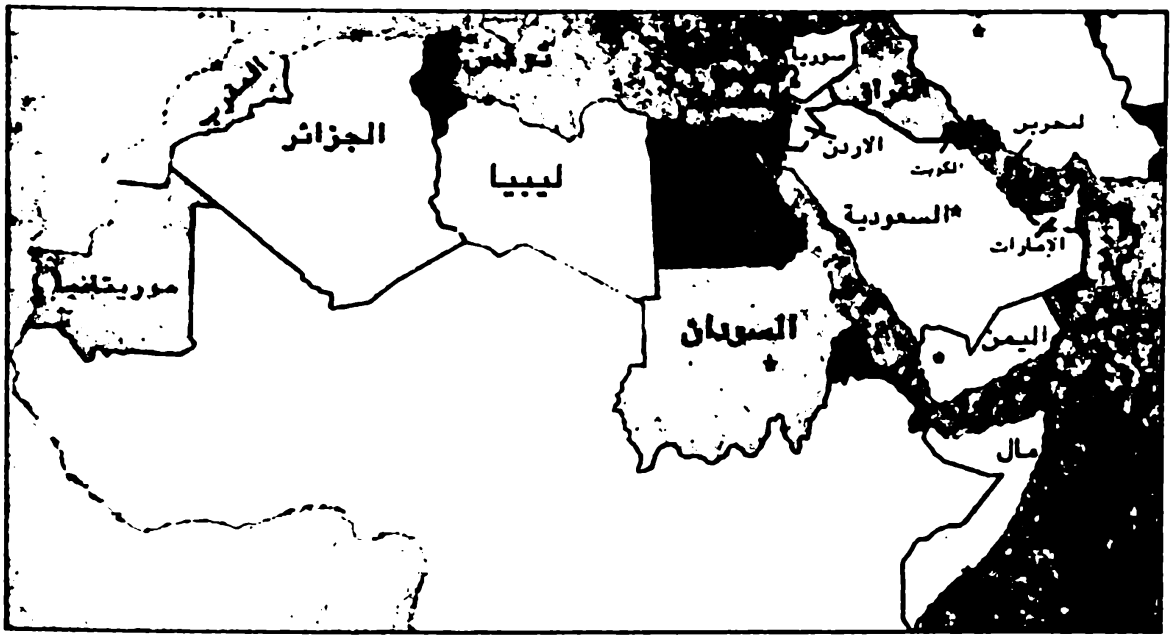

خريطة الوطن العربي

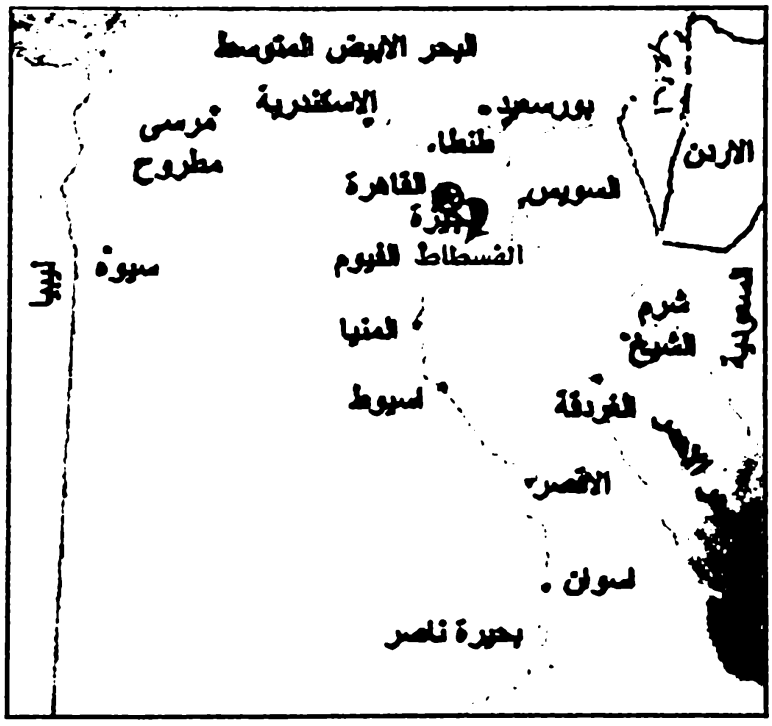

خريطة مصر ـ موقع مدينة الفسطاط ـ

المراجع

١) القرآن الكريم.

٢) إبراهيم اطفيش الجزائري، المنهاج، مكتبة الضامري، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٣) إبراهيم القادري، التواصل الحضاري بين عمات وبلاد المغرب، ط١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس.

٤) ابن سلام الإباضي، الاسلام وتأريخه من وجه نظر إباضية، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٥م.

٥) أبو بكر بن العربي المالكي، العواصم من القواصم، دار الجيل، بيروت، ط٢: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦) أبو سعيد عبد الرحمن الصدفي، تأريخ ابن يونس الصديق، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٧) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٢٥هـ.

٨) أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٢٥هـ.

٩) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٢١هـ.

١٠) أحمد بن حمد الخليلي، الاستبداد مظاهره ومواجهته، ط١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١١) أحمد بن حمد الخليلي، الحق الدامغ، مكتبة الضامري، مسقط، ط٢، ١٩٩٢م.

١٢) أحمد بن حمد الخليلي، أماكن انتشار المذهب الإباضي في شمال إفريقيا، مكتبة الضامري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

١٣) أحمد بن سعود السيابي، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، مسقط، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م.

١٤) أحمد بن سعود السيابي، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر، مكتبة الضامري، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م

١٥) أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، وزارة التراث الثقافة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٦) أحمد بن سعيد الشماخي وداود بن إبراهيم التلاتي، مقدمة التوحيد شروحها، وزارة التراث والثقافة ـ مسقط، ١١٩٨٩م.

١٧) أحمد بن عبدالله العزيزي، تجارة عُمان الخارجية عبر العصور التاريخية، مركز الراية للنشر والإعلام، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٨) أحمد مهني سعيد مصلح، الوقف الجربي في مصر ودورة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجا) الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠١٢م.

١٩) إسماعيل الأغبري، المدخل إلى الفقه الإباضي، مكتبة الضامري، مسقط، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٠) إسماعيل بن صالح الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، مكتب الإفتاء، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢١) الأطلس المدرسي، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عُمان، دار النهضة، ٢٠٠٥م.

٢٢) أم تش كاسترس ـ بيلوغرافيا الإباضية، ج١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

٢٣) بشـــر بن غانم الخرســـاني، مدونة ابن غانم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢٤) بكر محمـــد إبراهيم، كيف دخل الإســـلام مصـــر، ص١١، مركز الراية القاهرة، ط١: ٢٠٠٧م.

٢٥) بيير كوبرلي، مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، دار الفرقد، ٢٠١١م.

٢٦) جريدة الأهرام المصرية.

٢٧) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حســـن المحاضر في تأريخ مصر والقاهرة، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٨) جميلة بنت علي الربخية، إضاءات من دور الإباضية في توحيد الأمة، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عُمان، ٢٠٠٦م.

٢٩) حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، ط٣: ١٩٨٦م.

٣٠) حســـين عبيد غانم غباش، عُمان الديمقراطية الإسلامية، دار الجديد، بدون تأريخ.

٣١) حفيظ بن عيســـى الراجحي، عُمان منذ فجر التاريـــخ حتى الحاضر، المصنع الوطني للطباعة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣٢) حمود بن عامر الصوافي، الإباضية في خراسان سياسيا وعلميا، ص٣٥، (بحث تخرج ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

٣٣) خلفان بن جميل السيابي، سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، ط٢ وزارة التراث والثقافة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٣٤) رجب محمـــد عبد الحليـــم، الإباضية في مصر والمغـــرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري ١٩٩٠م.

٣٥) سالم بن حمود السيابي، طلقات المهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١٩٨٠م.

٣٦) سالم بن عبدالله الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث والثقافة.

٣٧) سرحان بن سعيد الأزكوي، كشف الغمة، وزارة التراث والثقافة، ط ٣: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

٣٨) سلطان بن مبارك الشيباني، الشيخ محمد الدهان أنموذج التواصل الثقافي بين العلماء العُمانيين والأزهريين، ٢٠١٣م (غير منشور بحوزتي).

٣٩) سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، مكتبة الأنفال، ط ١: ١٤٢٩هـ.

٤٠) سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، الأجيال، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤١) سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد.

٤٢) سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، ط ١: ٢٠٠٥م.

٤٣) صالح الهطالي، دور المذهب في التأثير والتأثر، مذكرة بحوزتي.

٤٤) صالح باجيه، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار أبو أسامة، تونس، ١٩٧٦م.

٤٥) صالح بن داود يوسف، من لا يعرف الإباضية، مطبعة الواحات، غرداية، ١٤٣٠هـ.

٤٦) عامر بن علي الشماخي، كتاب الإيضاح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٤٧) عبدالله بن حميد السالمي، بلوغ الأمل في المفردات والجمل، موقع بصيرة، ط ٢: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٤٨) عبد الله بن حميد السالمي، جوابات الامام السالمي، مكتبة الامام السالمي سلطنة عُمان، ط ٢: ٢٠١٠م.

٤٩) عبد الله بن حميد السالمي، معارج الآمال على مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال، مكتبة الامام السالمي، سلطنة عُمان، ٢٠٠٨م.

٥٠) عبد الله بن حميد السالمي شرح الجامع الصحيح، مسند الامام الربيع بن حبيب الفراهيدي، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ١٩٩٣م.

٥١) عبد الله بن حميد السالمي، بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، مكتبة الاستقامة، ط ٣: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٥٢) عبد الله بن حميد السالمي، جوابات الإمام السالمي، مكتبة الإمام السالمي، ٢٠١٠م.

٥٣) عبد الله بن حميد السالمي، معارج الآمال، مكتبة السالمي، ٢٠١٠م.

٥٤) عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مكتبة الضامري، ط ٣: ٢٠٠٧م.

٥٥) علي بن محمد الحجري، الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، مكتبة الجيل الواعد، بدون تأريخ.

٥٦) علي يحيى معمر، الإباضية في مواكب التاريخ، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان.

٥٧) عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، مطابع النهضة، ٢٠١١م.

٥٨) عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الدينية، بدون تأريخ.

٥٩) عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، الأردن، ١٩٧٨م.

٦٠) فرحات الجعبيري، البعد الحضاري للقعيدة الإباضية، مطبعة الأولية الحديثة، ١٩٨٩م.

٦١) فهد بن علي بن هاشل السعدي، لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عُمان الفكر والدعوة، مكتبة الأنفال، بدون تأريخ.

٦٢) فيديو بعنوان «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» مكتبة جامعة السلطان قابوس.

٦٣) مبارك بن عبدالله الراشدي، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، مطابع الوفاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٦٤) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٥) محمد الزيني، شهداء الفكر، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٦٦) محمد الزيني، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٦٧) محمد بن عبدالله السيفي، النمير حكايات وروايات، ط١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٦٨) محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

٦٩) محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٣١٥هـ.

٧٠) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني، في المهجر، تخرج في كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م.

٧١) محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة، ١٤٣٣هـ/٢٠٠٢م.

٧٢) محمد علي الصلبي، حصاد ندوة العلاقات العُمانية المصرية، وزارة التراث والثقافة، ١٩٩١م.

٧٣) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثروتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ١٩٦٩م.

٧٤) محمد قرقش، تاريخ الاسلام في إفريقيا مع دراسة للدور العُماني، بسمة للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

٧٥) محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، دار الوطن، ١٤١٢هـ.

٧٦) محمد كمال، مائة كتاب إباضي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينة، سلطنة عُمان، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٧٧) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، مكتبة الضامري، ط٢: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٧٨) محمد نمر المدني، الإباضية أهل الحق والاستقامة، ط٤ دار دمشق، ٢٠١١م.

٧٩) مسلم بن سالم بن علي الوهيبي، ورقة عمل بعنوان: الإباضية في منظومة الأزهر ٢٠١٣م (غير منشورة بحوزتي).

٨٠) مسيرة الخير، وزارة الإعلام، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٤م.

٨١) مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذهب، الدار المصرية اللبنانية، ط١٦ ـ ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٨٢) مقابلة مع أ.د. محمد الزيني بمكتبه في كلية العلوم الشرعية يوم الأثنين بتأريخ ٢٠١٤/١٠/٢٠م.

٨٣) مقابلة مع المنير عبد الحميد بن سعدون بسكن الداخلي لطلبة كلية العلوم الشرعية بتأريخ ٢٠١٣/٧/٢٣م.

٨٤) مقابلة مع أ. د. مشرح علي التمساح، بمكتبه في كلية العلوم الشرعية يوم الإثنين بتأريخ ٢٠١٤/١١/١٥م.

٨٥) المنير عبد الحميد بن سعدون، سليمان باشا الباروني وحضوره في الثقافة العُمانية، الملتقى العلمي التاسع، ورقة عمل بحوزتي).

٨٦) مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة، ط: ٢٠٠٣م

٨٧) ناصر بن سليمان السابعي، من روائع السلف، ط: ١٣٣٤هـ/٢٠١٣م.

٨٨) ندوة العلاقات العُمانية المصرية، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٩١م.

٨٩) انظر: بكر محمد إبراهيم، كيف دخل الإسلام مصر، مركز الراية القاهرة، ط١: ٢٠٠٧م

٩٠) عبدالله بن حميد السالمي، اللمعة المرضية، مكتبة مسقط، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٩١) ياقوت الحموي، معجم البلدان دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٩٢) يحيى محمد بكوش، فقه جابر بن زيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٩٣) يوسف بن يعقوب المعولي، سليمان باشا الباروني وآراؤه في الإصلاح السياسي والفكري، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦م بإشراف أ. د. محمد الزيني.

فهرس البحث

إهداء..... ٧
ملخص البحث..... ٩
أصل البحث..... ٩
أهمية البحث..... ٩
خطة البحث..... ١٠
المقدمة..... ١٥
المنهج المتبع في البحث..... ١٧
الفصل الأول: الوجود الإباضي في مصر وأسبابه..... ١٩
المبحث الأول: الوجود الإباضي في مصر..... ٢١
المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب الإباضي في مصر..... ٣٣
• المطلب الأول: التسامح في المذهب الإباضي..... ٣٣
• المطلب الثاني: طبيعة مصر..... ٣٩
• المطلب الثالث: الاستبداد السياسي في مواجهة المذهب الإباضي.. ٤٣
• المطلب الرابع: وجود الأزد في مصر..... ٤٦
• المطلب الخامس: الحج..... ٥٣

• المطلب السادس: التجارة..... ٥٦
• المطلب السابع: حملة العلم (وجود العلماء من الإباضية)..... ٦٠
• المطلب الثامن: طلب العلم..... ٦٧
الفصل الثاني: دور الإباضية في مصر..... ٧٣
تمهيد..... ٧٥
المبحث الأول: دور الإباضية الديني..... ٧٧
المبحث الثاني: دور الإباضية السياسي..... ٨٣
المبحث الثالث: دور الإباضية الاجتماعي..... ٩٢
المبحث الرابع: دور الإباضية في التنمية الثقافية..... ١٠٥
المبحث الخامس: دور الإباضية في التنمية الاقتصادية..... ١١٩
الفصل الثالث: التواصل بين مصر والإباضية..... ١٢٣
تمهيد..... ١٢٥
المبحث الأول: التواصل المصري مع إباضية المشرق..... ١٣٠
المبحث الثاني: التواصل الإباضي المصري المغربي..... ١٣٥
المبحث الثالث: الإباضية ومصر في الوقت الحاضر..... ١٣٨
الخاتمة..... ١٤٧
ملحق الخرائط..... ١٥٠
المراجع..... ١٥١
فهرس البحث..... ١٥٩